

تحدي الرقمنة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهورية



مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء الثالث

أ.د. صالح بلعيد

مناسبة وكلمة

الجزء الثالث



المجلس الأعلى للغة العربية

52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب. 575، ديدوش مراد، الجزائر

الهاتف : +213 21 23 07 16/17
الفاكس : +213 21 23 07 07

الموقع الإلكتروني : www.hcla.dz

ISBN : 978 9931-681-20-5



9 789931 681205 >

منشورات المجلس 2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية
رئاسة الجمهورية

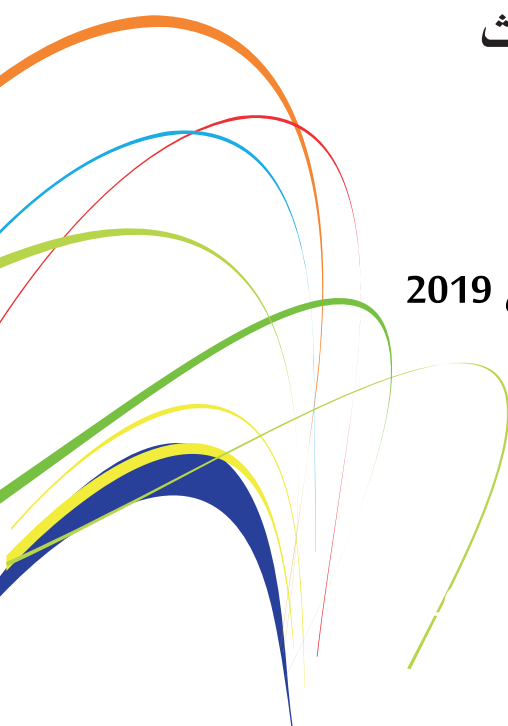


مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء الثالث

منشورات المجلس 2019



• كتاب: مناسبة وكلمة
(الجزء الثالث)

- إعداد: المجلس الأعلى للغة العربية
- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات: 440

منشورات المجلس

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2019
ردمك: 978-9931-681-20-5

المجلس الأعلى للغة العربية
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: +213 21 23 07 16/17
النّاسوخ: +213 21 23 07 07
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



الفهرس

- ❖ الفخار في الثقافة المازيغية..... 10-7
- ❖ جهود علماء الجزائر في خدمة الثقافة المازيغية..... 32-11
- ❖ المخطوطات في بلاد الزاوية..... 38-33
- ❖ قامات خالدة، وأقلام واعدة، مرفوعة لعثمان لوصيف..... 46-39
- ❖ كلمات في حق المكرم؛ سي حاج محند الطيب..... 52-47
- ❖ منابع متعدّدة، وهوية واحدة 56-53
- ❖ محمد بن العابد سماتي الجلاي 62-57
- ❖ سيحاسبنا الشهداء 66-63
- ❖ الأخطاء اللغوية في النصوص العلمية: أشكالها، مصادرها، واستراتيجيات تجنبها 80-67
- ❖ المفردات القانونية: مصطلحات أصلية وأخرى مقترض..... 86-81
- ❖ اللغات الأمّ والتّتمية البشريّة 96-87
- ❖ ردّ الجميل للزميل..... 100-97
- ❖ إعجاز نظم القرآن في اكتساب ملكة اللسان..... 108-101
- ❖ صناعة الكتاب في الجزائر..... 116-109
- ❖ التّراث الإسلاميّ وسؤال التّجديد 124-117
- ❖ التّربية الروحية وتحديات العولمة..... 130-125

- ❖ المجامع اللغوية والعلمية والمؤسسات الثقافية ودورها في تعزيز استعمال اللسان العربي..... 156-131
- ❖ التهجين اللغوي في وسائل التواصل الاجتماعي لدى فئة الشباب مخصصة أم مرافقة..... 184-157
- ❖ مرض التوحد عند الأطفال..... 190-185
- ❖ عبد الملك مرتاض القامة السامة..... 194-191
- ❖ تحقيق رسالة الإعلام في حسن الأداء اللغوي..... 202-195
- ❖ الكتابة اللسانية في الجامعات الجزائرية 206-203
- ❖ رسالة أمل للطلاب 212-207
- ❖ كلمات في التنوع الثقافي..... 220-213
- ❖ رأي في تخطيط لغوي للمواطنة اللغوية..... 228-221
- ❖ وحدة الجزائر وتعزيز الهوية الوطنية..... 238-229
- ❖ تحدي الرقمنة..... 246-239
- ❖ مفدي زكريا والشباب من خلال الإلياذة..... 252-247
- ❖ العربية في إفريقيا: الماضي المغدق، والحاضر المشرق..... 280-253
- ❖ بالعقل نهدي، وبالحوار نرتقي..... 286-281
- ❖ كلمات في الفقيدة (عائشة باركي)..... 290-287
- ❖ اللسانيات الرتابية واللسانيات العرفانية..... 296-291
- ❖ تعليمية القراءة في المنظومة التربوية -الراهن والمستقبل- 302-297

- ❖ الشَّهيدة حسيية بن بوعلبي..... 306-303
- ❖ الحوار قيمة قرآنية وسلوك راشد..... 312-307
- ❖ القرآن واللغة العربية..... 318-313
- ❖ التَّسويق اللُّغوي السَّيَاحيِّ بالعربية= تطوير لآلياتها..... 340-319
- ❖ واقع اللغة العربية في الإعلام السَّمي البصري الجزائري في ظلّ التَّطوُّرات التَّكنولوجيَّة إلكترونيًا..... 350-341
- ❖ الدرس النَّحوي: واقعه وآفاقه في المنظومة التَّعليميَّة في الجزائر... 360-351
- ❖ العربية بين الماضي المُغدق والحاضر المُقلق..... 370-361
- ❖ اللغة العربيَّة في يومها العالمي..... 392-371
- ❖ هل تموت اللغة العربيَّة..... 410-393
- ❖ لا تربطوا العربيَّة بالمناسبات..... 418-411
- ❖ صنَّافات اللُّغات ومقام العربية فيها..... 432-419
- ❖ اللغة العربيَّة في يومها العالميّ..... 438-433

الفخار في الثقافة المازيغية ♥

— المقدمة: من مظاهر الثقافة المازيغية ما ينتمي إلى الجانب المادي، وما ينتمي إلى الجانب اللامادي: فمن الجانب المادي الصّناعة الخزفية بكلّ أنواعها وقد تجلّت في صنع الأواني التي كانت وليدة الحاجة لقضاء مصالح البيت، من تموين وتخزين وجلب وسقي وشرب وزينة وديكور... كما دعت الحاجة الملحة الفنّان في اللعب بتلك العجينة حتى أصبحت في أيدي الصّانع شكلاً يراه مناسباً لحاجاته فأبدع بها أشكالاً للتعبير عن فكره، وبها سهّل عمله اليوميّ، وقضى حاجياته المرسلة. وأما ما يدخل في الجوانب المادية، فكانت شفاهية كالكلام وأشكال التّواصل والعادات والسلوكيات...

— معنى كلمة الفخار: هي التّربة الحمراء الغارقة في اللون، أو التّربة الصّصلبيّة الملوّنة بلون المكان أو الطّبيعة، وفي الغالب هي ذات اللون الرّصاصي، وتُسمّى (إينقي) تؤخذ من التّربة الخاصّة القابلة للتشكّل، وتُسقى جيداً بالماء حتى تصير وَحلاً، ويخمر الوحل، ومن ثم يشرع المبدع أو الصّانع في صناعة الأواني الخزفية. وفنّ الخزف من أقدم الحرف والفنون في تاريخ البشريّة ولم يعرف حتى الآن أين بدأ أو متى، ولكنه وليد الحاجة والتّفكير والصدفة معاً. ولقد أوحى مياه الأمطار والأرض المجوّفة، وما يطبع عليها من بصمات الأرجل والخطوات وما عليه من عوامل الطّبيعة من تقعرّات وتجويّفات المألئ بالماء... إلى البحث عن وسيلة لحفظ السوائل التي كانت ضرورية للبقاء، فقام الإنسان بعدّة طرائق لحفظ سوائله. هي تجارب مرّت بمراحل النّجاح في كلّ مرّة استطاع البدائي أن يعجن ويسخّن ويملأ الإناء دون ضياع السّائل المحتاج إليه. ومن خلال

♥ — كلمة أقيت في المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة. في ندوة موسومة (مظاهر من الحضارة الأمازيغية: الفخار). بمناسبة عيد يناير 2969، بتاريخ: 7-9 جانفي 2019م. تنظيم قسم اللغة الأمازيغية+ النادي الثقافي مولود فرعون).

ذلك كانت الحاجة أم الاختراع، فكانت التجارب وليدة التطبيقات المتكررة حتى أضحت على أرض الواقع متحققة وتعيش التطور.

والمهم أنّ الإنسان البدائي استطاع تشغيل فكره في المواد المحيطة به، واستغل ذلك في نقل مواد الأرض من صناعة الفخار إلى أعمال الجصّ والقرميد والآجر المستخدم في البناء. وتدرج جميع المواد ذات الأصل الترابي أو الكلسي ضمن المواد السيراميكية التي يفتخر بها العالم، بل يتفنن في البحث عن جودتها. ولكن كل ذلك لم يأت إلا بعد سلوك مراحل من التطور لغاية إدراك قضاء الحاجة، ولا تزال الأمور تنبئ عن الجديد، وتلك هي سنة الخلق في أرضه.

– الفخار عند المازيغيين: في الحقيقة إنّ الفخار ذاكرة المازيغيين، فيعدّ حلقة وصل بين العصور؛ فهو من بين الشواهد المادية المسهمة في تتبع التسلسل التاريخي للحضارة المؤرخة بالأحداث التي عاشتها بلاد تامزغا؛ بحيث عرف الإنسان المازيغي كيف يحول الطين إلى مادة صلبة بالاستعانة بخليط المواد الطينية، وكذلك بالنار، واستعمل في ذلك وسائل بسيطة ورسومات معبرة؛ جعلته ينقل وجوده من واقع إلى آخر، وعبر ذلك يستعمل فكره في التحديث باستعمال ما يحيط به من وسائل، وما يخترعه من آلات.

إنّ المازيغيين الأوائل أبدعوا في صناعة هذه المادة، بما يتلاءم وواقعهم المعيش، وانتقلت الصناعة التي أصبحت حرفة انمازية تتميز بأشكال هندسية متناسقة تعبّر عن أنهم كانوا ومروا في منطقة من المناطق. وعبر الأندلس أدخل فيها الموريسكيون هذه المادة إلى بلاد المغرب أنماطاً تليق بسياق الواقع، وتوارث الأحماد تلك المهنة، وبقيت صامدة مع رهان الحداثة.

لقد مارس المازيغيون مهنة صناعة الفخار منذ قديم الزمان، وهذا في شمال أفريقيا؛ باعتبارهم من الساكنة الأصل، واتخذوا هذه المهنة عملاً لهم، واكتسب فخارهم ثقافة أو ميزة ذات خصوصية من حيث نوعية الصلصال والألوان

والرموز، وكان لكل عصر حكاية مع الألوان والرموز؛ سواء تلك التي صنعتها الحضارات السابقة، أو ما كان يدور في مخيلة الإنسان المبدع.

— الفخار لغة خاصة، وذاكرة لإبداع المرأة المازيغية: تعتبر صناعة الأواني الطينية اليدوية من التقاليد الضاربة منذ القدم، والتي هي ذاكرة لإبداع المرأة المازيغية، فلقد كانت تلك المرأة الرجل محافظة على هذا الموروث الحضاري المادي، والذي يُقاس على أساسه مدى تجذر أمم الأرض في هذا الكون الفسيح ونقلته لأولادها عبر الزمان بمطابقة المستجدات، مع المحافظة على بعض الأنماط الانمازية الضاربة في أعماق ثقافة المازيغيين؛ أي المطابقة للأصول والعادات والتقاليد والأعراف. وتنقل لنا المصادر أن المرأة المازيغية قديماً تستعمل أشكالاً ورموزاً متباينة، ولكل رمز تعبيره وقراءته الخاصة؛ فهي رموز ذات لغة ولها دلالة عميقة تعبّر بها المرأة عن نفسياتها وأفكارها ومضايقاتها، وهي التي كانت تقوم بكل شؤون البيت في الداخل وفي الخارج. وتتخذ أحياناً بعض الأشكال التصويرية للتعبير رمزاً عما لا تستطيع البوح به جهراً، فنستعمل تلك الأشكال الهندسية التي لا تفكها إلا امرأة مثلاً. ويجب العلم أن أمثال تلك الظواهر كانت قائمة في مجتمعنا المعاصر، وشخصياً شاهدته في محيطي؛ إذ رأيت في محيطي فالمرأة كانت تقوم بجلب الحطب على ظهرها، وتأتي بالماء وتصنع الفخار وتطبخ وتتسج وتحلب وتحشّ الحشيش، وتربي النعاج، وتسهر على تنظيف حظيرة الدواب، وتقطف الزيتون، وتحمله على ظهرها للمعصرة على كيلومترات، وهي التي تضع الزيت في الإناء، وتحرق وتحصد وأول من يستيقظ، وآخر من ينام فماذا كان يفعل الرجل في الزمن الماضي؟

إنّ المرأة المازيغية عماد البيت، بما كانت تفكر في مستقبل بيتها وزوجها وأولادها، وكيف كانت تسهر على راحتهم في إبداع ما تراه يليق بالعيش الكريم. والحكمة في كل ذلك أنها امرأة من نوع خاص، تنطبق عليها المقولة "لا تصطد لي السمكة، بل علمني كيف أصطاد" فكان ميدان الإبداع من صنعها، وكانت الطبيعة

طوعها، حتى الشجرة تتحنى لها، فتعطيها ثمارها وأغصانها ووسائلها المادية وجذورها دواؤها.

— الخاتمة: رغم كل ما ذكرناه من أهمية هذه الصناعة/ المهنة، فإنها تتعرض الآن للانقراض بسبب المنافسة الشديدة من الألومينيوم والزرّاج، ومعطيات الآلة المعاصرة السريعة والمشكلة للخوارق، حيث تجاوزت مجالات استخداماتها التقليدية كآنية تستخدم للطعام والشراب إلى مجالات إبداعية أخرى، إلى جانب إدخال مواد أخرى في التصنيع مثل الطين المستورد والألوان المزججة التي تعتمد على الحرق في تثبيتها على الطين، إلى جانب الأفران الحديثة لعملية الحرق. ولذا أصبح الآن فنّ الفخار بين مطرقة الملائمة مع المعايير البيئية، وسندان تراجع إمكانات الاستعمال؛ وهو ما يفرض عليه مواكبة المستجدات من خلال تجديد تقنيات التصنيع وبخاصة في ظل التطورات التكنولوجية للحرفة، ونقص تثمين منتجات الصناعة التقليدية ذات القيمة التنافسية العالية، إضافة إلى عدم الاهتمام بهذه الصناعة من قبل المؤسسات المعنية وكذلك عدم تشجيع الجمعيات المهتمة بالتراث المحلي.

وكلّ هذا لا يثنيّا عن المحافظة على هذه الأصول التي كانت الثمرة التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه الآن، دون أن ننسى أنّ السلف ينتظر منا هذه اللفات الثقافية التي نقول من خلالها: إنهم كانوا هنا، بل مروا من هنا، ها هي بصماتهم تدلّ عليهم، ها نحن الخلف ننقل لكم ثقافة السلف فأن نكون أو لا نكون. ويجب أن نكون لتجسيد سلوكات الأجداد التي لولاها ما كنا.

وعلينا مواصلة الدرب، والطريق تصنعه الأقدام، وما هي إلا البداية التي بدأت ربّما بالقطر ولا شكّ تنهمر، والعهدّة عليكم أيها الجيل الجديد أن تفتخروا بأصولكم وتحترموا عاداتكم، ولكن لا تكونوا نمطيين، بل أن تعيشوا بين الأصالة والحداثة فتلك هي الوصفة المحبوبة التي أوصانا بها أجدادنا، فأنعم به من وصفة! .

جهود علماء الجزائر في خدمة الثقافة المازيغية ♥

— **الديباجة:** نزلت هذه المدينة الخالصة؛ مدينة حمزة التاريخية التي تمتاز بعادات وتقاليد وطقوس عريقة؛ تُضفي عليها النبل والكرم، وتُفيض السلام والأمن والحسَم. ولعلّ هذه الصفات هي التي حفزت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على أن تنظّم ملتقاها السنويّ في هذه المناسبة التاريخية تحت مسمّى **إحياء عيد يناير** في هذه المدينة، وهو دليل على القيمة الرمزية التي تمتاز بها ولاية البويرة؛ بخصوص التماهي مع الأبعاد الوطنية ذات العلاقة **بالبعد المازيغيّ**.

وها أنذا تُعيدني أيام الشباب إلى استذكار تلك الأغنية الجميلة المجموعة في قيد تلك الكلمات الجميلات للمغني الشريف خدام الذي يقول: **أبْكَايْثْ تَلْهَى ذَا الرُّوحِ أَلْقِيَايِلْ**. فأقول معه بالفعل **أبْكَايْثْ تَلْهَى ذَا الرُّوحِ أَلْقِيَايِلْ**، أو **ثوبيرتسْ ثَرْتَى ذُولُ أَلْقِيَايِلْ**، **وثيزي تَتَعْدَى ذَا المَخِ أَلْقِيَايِلْ**. فلقد اجتمع الجسدُ بأطرافه كلّها في هذه الولاية الوسطى؛ فهي الرّوح والقلب والمخ. هي بالفعل كما يقول الأجداد: **ثوبيرتْ ثَمُورْتْ أَنْجَمَاعِ لِيْمَانِ إِيصَحَانْ**، **أذْ وَاوَالِ يِرْتَانْ**، **ذِي تَجْمُوعَا يِرْآنْ**.

أيها الجمع الكريم، في هذه الولاية المجاهدة، ولاية التعدّد اللسانيّ والتعايش السلميّ منذ أن كانت سوقاً صغيرة يقصدها النَّاسُ للتبضع، فكانت من محطات قضاء المصالح. ففي الأخضرية نزل الأدارسة والسليمانيون والحسينيون، وفيها حظّ زعيمهم رحاله بأنافة، ومن أمشدالة يظهر العلماء وكانت لهم صولات الفضلاء، وفي البويرة كانت ثمرة ثوبيرت الغناء، وبها تسمت دون حياء، وعند أولاد بليل طريق الصّحراء، الرابط للجنوب بكبرياء، وفي يسر كانت الزاوية الثعالبيّة، تنتج الرجال العماقة، مقرونة بالرباط والزّهادة والنّقوى، وكلّها مظاهر التطوّر، لمدينة حمزة التاريخ، فقد شرفها نجم المريخ، فأثار عليها بطرد باسطوس

♥- أقيمت المحاضرة في قاعة المطالعة العموميّة المجتهد رابح سعيداني، بمدينة البويرة، بمناسبة عيد يناير 2969. تنظيم مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، بولاية البويرة في 8 جانفي 2019م.

الكولون، وإقامة جامعة الشهيد محند أولحاج الممنون. هي مفاخر البربر، ونحن نقول: إذا ضاعت الأصول ضاعت الفروع، وفقدنا التاريخ، والتاريخ يقوم على الآثار التي خلفها عقول السلف، وصنعتها أيديهم فما عسانا نفعل نحن الخلف؟ نحن الخلف نروم أن نحفظ ودّهم، ونواصل سيرهم، ونمنع الألسن القادحة، والأيدي العابثة، والأفعال المانعة، وهي وصفة أجداننا لمواصلة المسير، دون الضياع في الخمير.

ويا إخواني لقد سررت وأنا بينكم، وكم مرّة كنت معكم، وتأسروني في كل مرّة، وفي كل مرّة آتي، وكأني بذلك الشاعر الذي قال:
إذا دخل الشتاء فأنتم شمسٌ وإن دخل المصيف فأنتم ظلالٌ

وأقول جئتم وأنتم، لأنني أفتقدكم، وفي أيديكم المفتاح الذي أنشده:
وإذا المكارم أغلقت أبوابها يوماً، فأنتم لقفلهما مفتاح
إخواني ماذا أقول في هذا الموضوع المختار هذه السنة للاحتفال بعيد يناير، وهي مناسبة فلاحية يحتفل بها في بلادنا؛ تيمناً بسنة فلاحية جيدة، ويقوم فيه الجزائريون؛ بل كل ساكنة شمال أفريقيا بتناول الكسكس أو الشرشم أو البركوكس على لحم قرابين الديوك أو الأرناب. ويدخل هذا اليوم ضمن ما يسمّى بأيام العواشير، وفي انتظار المطر الذي لا بدّ منه، ومصحوباً بالثلج والبرد اللذين ينغرز ماؤهما في شهر يناير، ويصدآن وهج حرارة غشت. ونسأل الله سنة مملوءة بالصّابة والبركات.

— المقدمة: وأما موضوع جهود علماء الجزائر في الثقافة المازيغية فتتشعب أبوابه؛ لكثرة ما قدّمه علماء الجزائر من خدمات، وجليل المهّمات، وفي كل المجالات، وفي أرض لها كلّ الامتدادات بما لها من شساعة المساحات، وما أسدوه خارج هذه الفضاءات، وبتعدّد الاجتهادات وكان مصحوباً بكثرة العطاءات. ومع ذلك أقول: إنّ موضوعي ينحصر في المحدّدات التالية:

1- التذكير بمجموعة من العلماء المازيغيين الذين خدموا المازيغية قبل الإسلام: وإليكم قائمة بسيطة بأسمائهم وتخصصاتهم، دون البحث في الخدمات الثقافية التي قدموها لبلاد تامزغا فهي كثيرة وجليلة، وكان للبعض منهم السبق؛ بل إن أنجم البعض كان يسطع ظاهراً، والكثير أناروا فضاءهم الصغير والكبير. وهم من العلماء الأقداد، وكفي ذكر أمثال: **القديس أوغستين** علامة في الديانة المسيحية، وأحد آباءها. و**يوبيا الثاني** الملقب الملك المثقف حاكم مملكة موريتانيا والذي شجّع الفنّون والعلوم، ولقب عصره بالعصر الذهبي. و**أبوليوس** صاحب أول رواية في العالم (الحمار الذهبي) وهو ابن مادور/ مداورش. والمسرحي **كرنتيوس** الذي ظلّ يحيط به الناس، حتى تبعوه حيث ارتحل. والشاعر **فلوروس**، وهو كاتب وأديب ألمعي بارز. واللغوي **فرافنون** المعروف بالنعويّ والبلاغيّ، وله روايات في البلاغة التي نسج بعضها ملاحم. و**أرنوبوس** الأكبر ذلك المفكّر والأديب والشاعر الغزليّ. و**لكتانيوس** العالم المتصوّف اللاهوتيّ. و**ماركوس ماريوس** الشاعر المحبوب. و**القسّ دوناتوس**/ الأب دونا النكريتي الذي عاش في القرن الرابع الميلاديّ، المولود بمدينة نجرين وكان أكبر قسّ مسيحيّ ولمدّة ثلاثة عقود، وقد ثار على استغلال الرومان للمسيحية في تثبيتهم لاستعمارهم في شمال أفريقيا. ونظراً للظلم الذي سلّطته الكنيسة على الفلاحين كوّن أتباعه مذهباً مسيحياً سمّوه باسمه (الدوناتية) فناضل ضد الاستعمار الرومانيّ، ونشر الثورة بين الفلاحين المازيغيين الذين صوّدت أراضهم من الإقطاعيين الرومان، فأشعلوا ثورة في تلك اللوتيفوندات لاسترجاعها من المغنصيين، وبالفعل نجح في ثورته التي أنصفت جماهير المازيغيين، وكان يصليّ بالكنعانية، ويخطب في الشعب بالمازيغية. وترك قولة مشهورة "لا علاقة للمسيحية بالإمبراطورية الله أرسل المسيح لإنصاف المظلومين من الظالمين"، فنفاه الرومان إلى إسبانيا؛ حيث مات في سجونهم سنة 355م.

2- التذكير بدور القبائل المازيغية في استكمال الإسلاميه، وإقامة الكيانات السياسية في الشمال الأفريقي: كان للأمازيغيين -بعد إسلامهم- دور كبير في إكمال فتوح بلاد المغرب كما كان لهم دور كبير في فتح بلاد الأندلس تحت قيادة قائدهم (طارق بن زياد) ثم في فتح جزيرة صقلية/ إيبيريا في أيام دولة الأغالبة التابعة للخلافة العباسية، وكان له دور انمازي في نشر الدين الإسلامي في كافة أفريقيا، وكما يعود الفضل للتجار والفقهاء والشيوخ الذين أبلوا البلاء الحسن من أجل تثبيت الدين الإسلامي؛ مصحوباً بالعربية ليفهم الدين فهماً صحيحاً. كما لا ننسى تلك الجهود العظيمة لعلمائنا في نقلهم الدين الإسلامي إلى بلاد السودان وساكنة غرب أفريقيا، وعبر شمال تشاد إلى قبائل السنوكة، وبلاد السهل الأفريقي... ويذكر أحمد بن المقرئ التلمساني صاحب (نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) نحو من مائتين وخمسين (250) ترجمة لمن رحلوا عن الأندلس إلى المشرق من العلماء والأدباء والفقهاء، ويذكر أيضاً ما يقرب من خمس وسبعين (75) ترجمة لمن رحلوا من المشرق إلى الأندلس. ولا بد من استتطاق التاريخ الذي يقول: إن عدد الفاتحين للأندلس 12000 جندي، يقودهم المازيغي (طارق بن زياد) منهم 2000 من العرب الأقحاح الذين وفدوا من المشرق، والباقي مازيغيون. وبعد الفتح عاد معظم العرب إلى المشرق وبقي المازيغيون تحت إمارات مشرقية: أموية/ عباسية... ولكن الحاشية بربرية. وبهؤلاء البربر سادت الثقافة في الأندلس وعمّ الرخاء، وانتشرت المدارس وامتزجت الثقافة العربية بالمازيغية وبأولئك العلماء الذين أبدعوا في مختلف الفنون، حصل الازدهار لبلاد الأندلس، وتطورت العربية التي أضحت لغة العالم؛ ينشدها الأجانب من كل حذب وصوب، وكان ذلك تحت رعاية ملوك العرب، وما كانوا يصدقون به على المبدعين والصناع...

3- التذكير بقائمة أولية بأسماء من خدموا الثقافة المازيغية، أو خدموا هذه البلاد في ظل الحضارة العربية الإسلامية¹: وهذا بدءاً من أيام الممالك البربرية الثلاث عشرة (13) والتي لم تكن لهم الحدود الجغرافية، أو ما يعرف بالحدود الحالية، بل في العهود التي لم تبن الحدود أولاً وثانياً بأنه لا حدود جغرافية للعلماء وبخاصة في بلاد المغرب التي تسمى (الأقصى والأوسط والأدنى) ونشير إلى قائمة اسمية من الذين ماتوا فقط، دون الإشارة إلى الأحياء: عباس بن فرناس الذي وُلد في قرطبة وحاول الطيران، وسقط في هاوية لا تزال تحمل اسمه حالياً في إسبانيا. وابن رشد الفيلسوف الذي أحرق رجال الدين كتبه؛ لأنه قال بالفلسفة وعندهم من تفلسف فقد ترندق. وابن بطوطة الرحالة الإسلامي الذي جاب أقاصي آسيا، وسجل أعاجيب الدنيا في رحلاته الاستشكافية وبخاصة تلك السنوات التي قضاها في أعاجيب آسيا (تايلاند+ الهند). وابن البيطار، طبيب مالكة وله أبحاث في الصيدلة. وابن زهر الأندلسي الذي اكتشف الدورة الدموية. وابن باديس الصنهاجي والمختار السويسي والفضيل الورثاني، وأرزقي الشرفاوي، وعلي شنتير، والشيخ زكري وأبو القاسم البوجليلي، والشيخ بيوض، والشيخ أطفيش والسعيد الياجري، وأبو العباس أحمد الغبريني وابن أجروم الصنهاجي، ومحمد الحسن فضلاء، والشيخ أعليلي، والشيخ عسلة، أحمد بن إدريس البجائي، ورايح بونار، محمد بن قاسم الزواوي، ويحيى بن معط الزواوي، ويحيى بوعزيز+ وأبو القاسم البهلولي، وأبو إسحاق الأجدابي الطرابلسي والحمزاوي، وابن منظور الأفريقي المصري، محمد بن يحيى الباهي وسيدي يحيى العيدلي والشيخ إدريس السحنوني، الشيخ المهدي السكلاوي، والشيخ المقراني، والشيخ الحداد، وبوغلة الشريف، ولالة فاطمة أنسومر، ومحمد الشريف قاهر وسيدي أحمد بن إدريس وسيدي أحمد أويحيى والسعيد البيباني بونتجرت وإبراهيم بن بوبكر الونوغي اليلماني، وعبد الرحمن الوغليسي، والبوصيري

¹ - لمزيد من التعريف بالسيرة الذاتية لبعض المذكورين في هذه القائمة. ينظر: محمد الصغبر بلعالم، علماء من زواوة، الجزء 1+2. الجزائر: 2015، دار ثالة.

والطاهر الجزائري، وأبو يعلى الزواوي، ومولود قاسم ومحمد بقن يعقوب المنقلاطي والإيراثي، وسي بلقاسم البويري، وعبد الرحمن شيبان والشيخ سعيد صالح والشيخ السعيد بهلول والأكل شرفاء ومحمد الصالح الصديق وفضيلة الشيخ الطاهر أيت علجت والمولود الحافظي، وعلماء عمالقة من المشدّالين الذين قيل فيهم "لولا المشدّاليون ما كانت بجاية الحضارة والعلوم" ونشير إلى: نصر الدين المشدّالي+ أبو الفضل المشدّالي+ موسى بن عمران المشدّالي، وهؤلاء كان لهم الحضور في: تلمسان وبجاية وتونس وقبرص وغرناطة والشام والحجاز والقدس.

وهؤلاء العلماء المازيغيون كان لهم شرف نصره الدين وحمله ونشره، وشرف حمل رسالة الإصلاح والجهاد والاندماج الجمعي، وشرف الدفاع عن المشترك. ولقد كانت العروبة عندهم هي اللسان لا النسب، فقد أبدعوا بالعربية المعجزة. هم علماء ما ينظرون بعقولهم إلى الأمور بل يطلّون ويبدعون، عرفوا الحقيقة وما وقعوا في الغريفة. هم علماء ما ضاقت عليهم الدنيا وتماهوا في اللغة العربية التي تبنوها قناعة، في الوقت الذي كانت فيها لغات أخرى، لكنهم عرفوا سرّ العربية وعلموا أنّ أقوى لغة يومها كانت اللاتينية وتحوي سبعمئة (700) جذر لغوي فقط وما احتوتها بل احتوتوا العربية المعجزة التي فيها ستة عشر (16000) ألف جذر لغة، ويضاف إليها سعة التفعيل والاشتقاق والتركيب. وهذه اللغة التي ارتضاها الأجداد لأنفسهم وأوصونا بها، وقالوا: العربية من المقدّس بحمولتها الدينية، فوجبت عليكم المحافظة عليها؛ لأنها تمثل معلماً أساسياً من هويتكم، فلا يأخذنكم بال لغة أجنبية، ولا تستبدلوا الذي هو أعلى بالذي هو أدنى.

بالفعل كانت وصية الأسلاف في محلّها، فهي اليد التي تعطي، ولا تأخذ قدر ما تعطي، فهي النبع الذي لا ينقضي، ألم يكن الغربيون يأتون الأندلس أيام كانت الأندلس فردوساً للعلماء والعلم ليدرسوا فيها العربية وبالعربية، وعلى يدّ العرب؟ ألم يأخذوا علم الفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء والجبر من حاضرتي: بجاية وتلمسان؟ ومن ثمّ بنوا قواعد علومهم من العربية وطوّروا لغاتهم التي لا تزال فيها

آثار العربية شاهدة في مصطلحاتهم، وأدعوكم للعودة إلى كتاب Nos ancêtre les Arabes، للباحث المُنصف Jean Pruvost الذي يقرّ بهذه الحقيقة وهو الذي يقول "لولا تلك القرون التي ساد فيها العربُ بلد الأندلس ما عرفت أوروبا نهضتها الحالية". ولكن ذلك من الماضي، وعسى أن يكون الاتعاظ للخلف بضرورة الإفادة من فعل السلف، وكيف تعاطوا مع الفعل الثقافيّ دون تَلَف.

4- في مفهوم الثقافة: الثقافة بنية حضارية متعدّدة الحضور، ولكلّ جماعة من البشر ثقافة، أو لمجموعهم داخل المجتمع الذي ينتمون إليه. ولها محدّداتها الكبرى ممثّلة في:

- المكان الذي أحدث وأنتج الثقافة؛
- الزمان الذي جرت فيه الثقافة؛
- الميراث القديم أو الذي تركه الأجداد؛
- اللغة المستعملة وتحوّلاتها المختلفة.

ومن فنونها: العمارة+ الكتابة+ الصناعات اليدوية+ اللغة+ المعتقدات الدينية+ النحت+ الزراعة+ التصوير+ الخزف+ الرخام+ الجلود+ الغزل+ صناعة آلات الطرب+ وضع نظام توزيع المياه+ سنّ نظام المحارب+ التّفنّن في الصّياعة+ الخوص (فَنل الحلفاء)+ الاهتمام بالفنون الشعبيّة...

وكلّ هذا يتمثّل في منتجها العينيّ وغير العينيّ "الثقافة هي إنتاج المجتمع بكلّ ما فيه من تنوّع وتناقض وتغيّر وثبات، وبكلّ ما هو عليه من أفكار وتجارب متحقّقة أو غير متحقّقة ماضياً وحاضراً أو مستقبلاً"². وهكذا نرى توسّع مفهوم الثقافة وما لها من مداليل كبيرة.

² - إبراهيم عبد الله غلوم "الثقافة في مجتمعات الخليج العربيّ، تحديات الواقع والمستقبل" أعمال ندوة (مستقبل الثقافة في العالم العربيّ. الرياض: 2002، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامّة) ص 771.

5- كلمة حق لا بد أن تقال: هي كلمة صريحة؛ فقد قال عبد الرحمن بن خلدون تـ 808 هـ عن الفترة العربية الإسلامية بأن "معظم الخدمات الثقافية لم تكن على أيدي العرب وحدهم وإن كانت فهي قليلة جداً بل إن معظم الذين أبدعوا في اللسان العربي هم أعاجم، ويقول: "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الأمة الإسلامية أكثرهم العجم، وليس في العرب حملة علم لا في العلوم الشرعية ولا في العلوم العقلية إلا في القليل النادر. وإن كان منهم العربي في نسبه فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع أن الأمة عربية وصاحب شريعته عربي". وما سجلته عن شيخي عبد الرحمن الحاج صالح تـ 2017م، أن العلماء العرب نسباً -الذين خدموا العربية في قرون التقعيد- اثنان: الخليل بن أحمد تـ 175 هـ، والجاحظ تـ 255 هـ؛ فالأول ترك ثلث اللغة، والثاني أبدع في ذات اللغة بحيوانه وبيانه ومروياته ونقوله، فهما في كفة، وغيرهم في كفة". وعلى العموم، هي كلمة حق تقال: إن هؤلاء العلماء الكبار لهم فكر متور، أبدعوا بلغة القرآن، فهي المفتاح للبصيرة والتبصر، وكانت خير مبرر عما يخالجهم، فنالوا بها رضوان دينهم ولسانهم.

6- علماء أمازيغ في خدمة الثقافة المازيغية: يصعب سرد مدونة اسمية كاملة لأولئك العلماء المازيغيين الذين خدموا الثقافة المازيغية، بقدر ما نقول: إنهم علماء مازيغيون مغاربة خدموا الثقافة الوطنية بمعناها الواسع في مواطنها اللغوية، وهذا منطق الشيء، على أن الثقافة منظور اجتماعي لغوي بيئي ديني علمي عاداتي يقوم على خدمتها الباحثون والعلماء، ويكفي أن نعلم بأنهم خدموا المواطنة بمفهومها القديم والحديث، فمن العهد النوميدي الفاخر، إلى العهد الروماني والوندالي والبيزنطي الماكر، إلى العهد الإسلامي الزاهر، وإلى العهد الإسباني الدامر والفرنسي القاهر، إلى عهد الاستقلال الباهر، كان هؤلاء الأعلام العلماء يتعلّقون بوطنهم وبعاداتهم وبأصولهم وبتقافتهم، ومع ذلك، فنقر بأن الثقافة المازيغية لم تفلت من الانصهار في الثقافة العربية حتى دفع الشبه بعض المؤرخين القدامى إلى الجزم بأن جزءاً من المازيغيين ذوو أصول عربية يمنية

وهو في الحقيقة كان يمكن أن يكون بفعل العامل الديني، أو بعامل الانتماء. أضف إلى ذلك تلك الثقافة الشفهية للمجموعات البربرية التي جعلتها سريعة الذوبان في غيرها حتى قبل فترة الفتح الإسلامي. ولكن لا نعدم الوجود الثقافي العربي في شمال أفريقيا التي تجلت في اللهجات العربية كما يقول الأستاذ (فضيل شريگان) "إذا كانت عربية شمال أفريقيا قد استعارت جزءاً كبيراً من مفرداتها من العربية الفصحى، فإنّ بنيتها النحوية والصوتية تعود بأصولها إلى تمازيغت". وأما على مستوى العادات والتقاليد؛ فتجلّى هذه الثقافة في فنّ طبخ تقليديّ وطقوس اجتماعية عديدة وأعياد زراعية ورأس السنة الفلاحية يناير. كما حافظ الشعر المازيغيّ على ما يسمّى إيزلي وأهلليل وأذكار وممارسات اجتماعية بمناسبة خاصة وإلى يومنا هذا.

وعلى العموم، فإنّ الأشكال الثقافية قائمة في تنوّعاتها حسب المناطق الجغرافية وحسب المكتسبات القبلية الممتلئة في: الرقص + الوزيعات + مناسبات نسج البرانيس + مناسبات الختان + حفلات المناسبات + إحياء الأعياد الفلاحية + الرّسوم على الصّخور + حملات التطوّع + التّأسي بالجروح والقروح + أداء الفولكلور + الوقوف مع المجروح + سنّ الأعراف والشّرائع + إقامة تجمعات (ثاجماعيث) + الامتثال للأعراف + الالتزام بالجماعة... وأبلغ هذه الفنون تلك الاستمرارية اللغوية المتمثلة في الكتابة بحروف التيفيناغ لبقاء اللغة المازيغية والثقافة العامّة تعيش الاستمرارية وربطها بماضي الأجداد. هي جهود قائمة بدأت تؤتي أكلها بعدما تغيّرت معطيات الانفتاح الوطنيّ، والإقرار بوطنية ورسمية اللغة المازيغية. ونرى النخب الوطنية تولي الجانب الثقافيّ ما يحتاجه من قيمة مضافة، وأصبح التنافس قائماً في من يُقدّم الأفضل في إحياء تلك العادات، وخير دليل ما يقوم به المجتمع الجزائريّ بهذه المناسبة؛ مناسبة إحياء السنة الفلاحية = عيد يناير، تيمناً بفعل أجدادنا الذين يغيّرون ذلك اليوم محلّ إقامتهم طلباً في تغيير الوضع الطبيعيّ للجوّ بأن يغدق عليهم الله الصّابة التي تحملها الأمطار والتّلوج، ويبدأ بتقديم العشاء الفاخر للعائلة، على أنّ ما هو قادم أحسن.

7- أشكال الخدمات الثقافية: من مقتضيات أشكال الثقافة أنّ هذا الميدان يأخذ الشكل الثابت وهي تلك الموروثات التي تنتقل بصورة طبيعية دون جدال، مثل اللغة، ولكن لهم مواقف انقلابية حيث لا يثبتون على لغتهم إلا في بيوتهم، وكلّ أجنبي يخضعون للغتهم بحكم التّحكّم في اللغات الوافدة، وكذلك لعامل نفسيّ قد يروونه في ضعف لغتهم، فإذا حصل أنّ أجنبياً واحداً ينتقلون من لغتهم إلى لغة أجنبية يعرف الأجنبيّ دون شعور. وهناك ما هو من المتغيّر؛ وتتمثّل في التّعامل مع الأجنبيّ بما يمكن أن يقدّم من فائدة، مع مراعاة التّطوّر الحاصل عبر الزّمان والمكان فهم يعيشون الأحداث مع المستجدات، دون الانغلاق على الذات. وتنقسم أشكال الخدمات الثقافية إلى قسمين:

1/7- قسم الخدمات الثقافية المادية: وتعرف بالأشياء الملموسة المرئية، وتتمثّل في النّسج والرّسم والنّحت والصّناعات، وما يتبع ذلك من أمور صناعة وسائل الفلاحة والحصاد، وبناء المصايد لصيد الحيوانات، وبناء السّدود، ونسج الخيمة ووضع المدر، إلى جانب تلك الرّموز المصاحبة لشدّ الرّحال بحثاً عن العتلات لتسقيف البيوت، وحشّ الديس... وهي أشكال عرفيّة قطع فيها بخصوصيّة متفق عليها، ينقلها السلف للخلف، ويتوارثها الأبناء عن الآباء.

2/7- قسم الخدمات الثقافية غير المادية: وتعرف باللامادية؛ وتتمثّل في ما ليس من الملبوس كالشعر والمدايح والأذكار، ومختلف طبوع الأداء الشّفهيّ، وفي هذا المجال تبرز اللغة الوظيفيّة التي تنتقل شفاهياً بمختلف سياقاتها ومسكوكاتها وما لها من أمثال وحكم، ويسهر عليها الكبار لتكون محلّ غرسها في الصّغار ونقلها كما هي لتبقى الاستمراريّة اللغويّة قائمة، مع تفتحهم على التعدّدية اللغويّة التي كانوا يمارسونها منذ الدولة النوميديّة. كما اشتهر المازيغيّون في مجال التّنجيم والحساب، وأيام الصّحّ وأيام السّوس، ودخول الفصول، وما يعترض ذلك من علامات الصّابة والجفاف وعلم الفلك والتّنجيم والقيافة...

8- ميادين الخدمات الثقافية للمازيغيين: إن الاعتراف باللغة المازيغية وتدريبها مسألة تحتاج إلى تثمين، فهي الخطوة الأولى نحو كسب مواقع في الإعلام والاستعمال، وسوف تكون لها مؤسسات تعمل على ترقيتها، وستكون لها نخبة عالمة تدع فيها وبها، ويكون لها موقع تتنامى عبره على مرّ السنون. وهذا ليس بالمستحيل إذا صدقت النيات وشُدت العزائم. وهكذا نرى دولتنا تولى هذه اللغة المكانة الطبيعيّة بالتدرّج، فهي إحدى اللغات الثلاث المستعملة في وسائل الإعلام وشُرِع في تدريسها عام 1996 مادة اختيارية في المناطق الناطقة بها، ثمّ أصبحت إجبارية. ولا نعدم هذه المكتسبات، وهي بذرة من تلك البذور التي تتلوها القطوف، والمهمّ لا للتسرّع، ولا لإضاعة المكاسب، والزمان كفيل بخدمة هذه اللغة كما خدمها السلف، في إطار المواطنة اللغوية. وأما هذه الميادين فهي كثيرة ويكفي أن نشير إلى:

1/8- ميدان النسيج وإقامة المنسج في الخريف: وهذا استعداداً للشتاء القارس فلا بدّ لهم من لباس يقيهم برد الشتاء، وهم الذين عرفهم البعض بأنهم من **حالقي الرؤوس، ولابسي البرنوس وأكلي الكسكس**.

2/8- ميدان الصيد: مهنتهم التي اشتهروا بها في الجبال وفي الصحاري، وهي صراع للبقاء أمام عوامل الطبيعة القاسية، فلا بدّ من تربيّة المواشي، ولا بدّ من صيد الحيوان الذي لا يخضع للتدجين.

3/8- ميدان الفنّون: ويتمثّل في أداء تلك الأهازيج الخاصّة بالمناسبات، وتلك الهدّيات التي تُقال للصبيان أثناء النّوم، مع الحكايات التي تُقال أمام الكانون للمسامرة الليلية، ومع تلك الأغاني المصاحبة في حملات الدّرس أو أثناء الوزيعات، وما يصحب ذلك في الأعمال التطّوعية.

4/8- ميدان صناعة الفخار والنّقش على الصّخور: وهي علامة الحياة، بل إن آثارهم تدلّ عليهم فقد أبدعوا بتلك الأواني التي كانوا يقضون بها مصالحهم المرسلّة، بل تركوا البصمات التي تدلّ عليهم حيثما حلّوا وارتحلوا.

5/8- ميدان الممارسات الاجتماعية العرفية: وهي كثيرة جداً، ويمكن أن نشير إلى التّجمعات الخاصّة بعرف يستدعي القرار الجماعيّ، التّكافل الاجتماعيّ، رفع الغبن عن المصاب المساعدات الاجتماعية، رفع الغبن عن المظلوم، ردع الظالم بعزله وإخراجه من القرية.

6/8- ميدان التّيمّن بالعلماء في المناسبات الدينيّة: وفيها تقام أعراس لمن يكون الأفضل ويقدمّ العالم على أنّه من الأسياد، ويوشّح بلقب السيّد، بل تكون له المكانة الاجتماعية بين القوم.

وكلّ ذلك يحصل بوجود تلك القامات السّامقات في المجتمع من بين قومهم ومن يمثّلونهم والذين تتوفّر فيهم الشّروط التّالية: الانتخاب + كِبَر السنّ + التّعقل + المصداقيّة + الإيثار + التّضحية + كسب الاحترام + عدم الجُرح في أخلاقه.

9- نماذج من علماء مازيغيين خدموا الثّقافة الوطنيّة: هذه النّماذج صورة لمحترفي العلم في صورته النّوعيّة؛ كانت لهم وقفات تبصّريّة، فارتقوا بها، ورقّوا ثقافتهم، وأصبحوا لمعاً في سماء العلم والعالم. وإليكم بعضاً منهم:

1/9- الطّاهر الجزائريّ: ابن بجاية الذي أسّس المكتبة الظّاهرية بدمشق، ولُقّب بباعث النّهضة العربيّة في المشرق.

2/6- ابن معطّ الزّواويّ: مؤسس النّحو التّعليميّ بمدوّنته الدرّة الألفيّة في علم العربيّة. ويقرّ المازيغيّ الأندلسيّ ابن مالك بذلك السّبق قائلاً:

قال محمّد هو ابن مالك أحمدُ الله خيرَ مالِكِ
مُصلياً على الرّسول المصطفى وآله المسـتكمّلين الشّرفا
وأستعينُ الله في ألفية مقاصدُ النّحو بها محويّة
تُقرّبُ الأقصى بلفظٍ موجزٍ وتُبسطُ البذلَ بوعدٍ مُنجزٍ
وتقتضي رضياً بغير سُخطٍ فائقةً ألفيةً ابن معطّ
وهو بسبق حائزٌ تفضيلاً مستوجبٌ ثنائي الجميلاً

والله يقضي بهيات وأفرة لي وله بدرجات الآخرة

3/9 ابن أجروم: وهو الفقير إلى الله الذي عمل في تيسير النحو بما له من

علم في تلك الأرجوزة الموسومة (المقدمة الأجرومية في مبادئ علم العربية).

4/9 محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري شاعر من دلس اشتهر

بمدائحه النبوية. وأشهر أعماله البردة المسماة "الكواكب الدرية في مدح خير

البرية". وتعود أصوله لدولة الحماديين ولكنه انتقل إلى مصر لتلقي العلوم.

5/9 أبو العباس أحمد الغبريني: صاحب الكنز الكبير (عنوان الدراية).

6/9 أبو الفضل المشدالي: من أمشدة الذي بنى له ملك تلمسان المدرسة

التاشفينية، وفرش له صاحب الفسطاط في القاهرة البساط الأحمر لاستقباله، وهذا

العالم الرياضي فريد زمانه، ولا يماثله أحد في علمه كما قال عنه السيوطي.

وعلماء أمشدة كثر، ولهم أفضال كبيرة على حاضرتي: بجاية التي أصبحت

جامعة يقصدها طلاب أوربا، وتلمسان ارتقت بصيتهم الكبير فنالت المكانة

العلمية المشهورة.

7/9 محمد بن أبي القاسم المشدالي المتوفى سنة 1462م الذي أقام في

بجاية، وترك عدة مؤلفات.

8/9 عبد الحميد بن باديس الصنهاجي: صاحب مقولة: الجزائر وطننا

والعربية لغتنا والإسلام ديننا.

10- الصفات الانمازية لهؤلاء العلماء: إن معظم هؤلاء العلماء كانت لهم

المواصفات التالية:

1/10- الموسوعية في العلوم.

2/10- التثبّع بعلم العربية، وحفظ القرآن، ومتمون النحو.

3/10- ربط القول بالفعل، والتضحية بالولدان.

4/10- طلب العلم والارتحال في سبيله، والعمل دون هوادة بغية تبليغه.

5/10- ربط الدين بالدنيا، وعدم التعارض في المصالح المرسله.

- 6/10— ربط المحسوس باللمس، ودون الاعتماد على نزعات النفوس.
- 7/10— التماهي في الإيمان، ونشر الفضيلة والأخلاق، والعمل دون هواده من أجل بلوغ الرضا.
- 8/10— تقديم العلم في صورته الواضحة الميسرة حسب مقتضيات البيئة وعقول الناس.
- 9/10— تأسيس الزوايا والجمعيات الدينية والخيرية، والتسابق إلى أفعال الخير.
- 10/10— تسبيق الوعي قبل الوعظ.
- 11/10— تدريس وتأليف الكتب وتكوين الرجال والمريدين لمواصلة فعل التأسيس.
- 12/10— التماهي في المجتمع والعيش مع الجماعة، وتكوين خلايا الإصلاح.

11 الموقع الاجتماعي لطالب العلم لدى المازيغيين: ينزل المازيغيون طلاب العلم منزلة الحظوة والاحترام، فهم من الذين يوضعون في السلم الاجتماعي فيعظم دورهم، ويعمل برأيهم ويكونون محل توجيهِه. فلا تكاد أسرة مازيغية إلا وتوجه ابناً واحداً يتخصّص لطلب العلم، فيوجه لزاوية يكون في خدمتها حتى ينال إجازتها من مشايخها، ويعود في الغالب إلى مسقط رأسه لتولّي المشيخة، وتدبير أمور العامّة. قد يصبح الطالب شيخ البلدة، ويأخذ القيادة، ويعفى من الأعمال ذات العلاقة بالسُّخرة، فتلبّي مطالبه الاجتماعيّة، ويكون محلّ الصّدارة، ويذيع اسمه حتى يصبح مرجعية يقصده الناس في ردّ المظلم، أو طلب الاستشارة، أو الصلح وما يتبع ذلك من الأمور اليوميّة كالزّواج والطلاق والفتوى...

وتشير المصادر بأنّ الأسرة المازيغية إذا كان لها أكثر من ولد من الذكور، لا بدّ أن تهب ولداً واحداً للزاوية، ويعفى من بين إخوته من كلّ أعباء العائلة، فيتفرّغ للعلم فقط، وينال الحظوة الخاصّة لدى أبويه، بما يحمله من علم وتبصرة ووعي وفهم، فيكون لسانهم العارف بأمر الدين والدنيا.

وإذا كان هذا حال المجتمع المازيغي، فإن الثورة التحريرية حافظت على هذا الطبع الاحترامي للطلّاب، فكانت ترسل الشّباب للتعلّم خارج الوطن، ويحظون بمقام لدى المسؤولين السياسيين ومما يروى عن العقيد الشّهيد (آيت حمودة= أعميروش) أنّه يولي المتعلّمين مكانة أفضل من غيرهم، وكان يرسلهم إلى تونس ومصر والعراق لمواصلة الدّراسة، ويرى أنّ استخلاف جنديّ أسهل بكثير من استخلاف الطّالب المتعلّم، ومما دونّ عنه قوله "تستطيع أن تُكوّن عشرات في ربع ساعة على أن يكونوا جنوداً، لكننا لن نوفّق في تكوين مثقّف في سنوات بأكملها فالثورة حين تفقد مجاهداً يعوّض مباشرة بأخ يراقب سلاحه؛ بينما يؤدّي فقدان العالم إلى ضياع الأمّة بأكملها". هي مقولة من ذهب صدرت من سياسيّ مدير للحرب، ولكنّه ينظر إلى الطّالب المثقّف غير نظرته إلى الجنديّ الذي يسهل تعويضه.

12- موقع العربيّة عند هؤلاء العلماء: ولعلّ أهمّ سؤال يتبادر إلى الذّهن هو: كيف رُجحت الكفّة لصالح اللغة العربيّة؟ هل تمّ ذلك بقمع المازيغية؟ يجب العلم أنّ إقبال أجدادنا على تعلّم العربيّة والإبداع فيها كان طوعاً باعتبارها لغة القرآن والإسلام الذي وصلهم للانعتاق من العهود الماضية الاستعماريّة، إضافة إلى نقص الاهتمام بتطوير الكتابة المازيغية، وعزوف أهلها عن تعييدها وترقيتها، الأمر الذي جعلها تتدرج إلى خارج الاهتمامات الفكرية والعلمية. وهكذا ما دام الإسلام قد ملأ قلوب أجدادنا المازيغيين؛ فمن الطّبيعيّ أن يقبلوا على تعلّم العربيّة إلى درجة امتلاك ناصيتها، ثم القيام بنشرها في أوروبا وأفريقيا، بأن صاروا أقلاماً لها فأسسوا المدارس في بجاية والأندلس وتلمسان والقاهرة والشّام والقرويين والقيروان، ووقع الازدهار في عهد أبي عبد الله بن تومرت، ويوسف بن تاشفين وأيام الموحّدين والزّيانيين والحماديين. وهكذا أنجبت منطقة الزّواوة علماء كثيرين سار بذكرهم الرّكبان، وكان لهم الحضور في بلاد المغرب، وفي المشارق، وفي أفريقيا.

هذا غيظ من فيض مما يمكن أن يقال عن جهود العلماء المازيغيين في سبيل خدمة العربيّة وما دام الأجداد قد عضوا بالنّواجذ على اللغتين الوطنيتين العربيّة العالميّة، والمازيغيّة الوظيفيّة التي يجب أن تحظى بالرعاية، وما دام الإسلام قد جمعهما، فمن الواجب أن نبني العلاقة بينهما على أساس التّكامل وليس التّنافر وهو سبيل تحقيق الوحدّة في إطار التّنوُّع. وشعارنا في هذا بالمازيغيّة نبقى وبالعربيّة نرقى، وبالإسلام نشكّل العروة الوثقى. ونقول أيضاً: المازيغيّة إرثنا والعربيّة غراء اجتماعي توحديّ، فبالعربيّة نمارس وجودنا العلميّ، وبأداءاتنا نمارس وجودنا الفنّي. وأجدادنا قالوا "المازيغيّة لغة أمّنا رضعناها من صغرنا فهي أصلتنا ووجودنا وكياننا الصّغير، وبها حبّونا، وعليها فطرنا، فهي جزء منّا" كما قالوا "اللغة العربيّة بين الأمازيغ ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حمائها وأنصارها؛ دخلت هذا الوطن مع الإسلام على أسنة الفاتحين فلما أقام الإسلام بهذا الشّمال الأفريقيّ إقامة الأبد، وضرب بجدرانها فيه؛ أقامت معه العربيّة لا تريم ولا تبرح؛ ما دام الإسلام فيها مقيماً لا يتزحزح يزيداً طيباً وعدوبةً وأنّ القرآن بها يُتلى، وأنّ الصّلوات بها تبدأ وتختتم". تلك أمثلة قليلة عن الجهود التي قام بها العلماء الجزائريين في خدمة التّكامل اللغويّ. والدعوة هنا ملحة للعودة الي تاريخ المغارب الحافل بالشّهادات وبالتّجارب والظواهر الماضيّة. فللتاريخ المغاربيّ بصمات يمكن الوقوف عليها، وهي دلائل يمكن دراستها وملاحظتها والاستشهاد بها في حالات بروز بعض الإشكالات المستعصية.

13- المصاهرة التّامة بين العربيّ والمازيغيّ: لقد علمت الدول الإدريسيّة على خلق انسجام جمعيّ تبنّته كلّ الدول البربريّة المتتاليّة، فحدث انصهار تامّ، بل تمازج خلق وضعاً جديداً، لا فرق بين من يستعمل المازيغيّة ومن لا يستعملها والمسألة تعود إلى الساكنة الممتنعين الذين بقوا على لغتهم، وأما الذين تمرّ عليهم القوافل فقد اندمجوا مع الحدث الجديد، وهو الإسلام ولغة الإسلام فاستعملوا لغة الإسلام بعفويّة، وافتقدوا لغتهم الأصل، تبعاً للانجذاب اللغويّ، لا تبعاً للمحو

اللغوي. فلا توجد إثنيات، ولا مزاعم هويات من خلال تعدد اللغات، وهي وتيرة اجتماعية تواصلية سواء كانت رسمية أم شعبية. وفي المقابل لم يقع تغيير العرب انتماءهم وهويتهم عبر التاريخ رغم طغيان اللهجات وكان فيها للمازيغية وجود بخصوصية الثبات اللغوي والأصالة التي انبنت عليها منذ القديم، ووجدت تآلفاً كبيراً مع العربية، فكانت لها الشقيقة. والآن لا يوجد من المازيغيين من لا يعرف العربية في مستواها اللهجي عند كبار السن، دون الحديث عن الصغار، فهم فرسان العربية والمازيغية بامتياز. وقد ترسخت بذلك ثوابت المكارم بين الساكنة التي لا تستطيع التفريق بينهما بحكم توظيف اللغة. وبذا يجب الجزم في القول في ظلّ التمازج الاجتماعي والصهر المتواصل لا يمكن تحديد من هم المازيغيون، ومن هم العرب إلا توهماً كما أنّ مزاعم الهوية الوطنية الأحاد غير صحيحة، فهناك هوية بلغتين: المازيغية+ العربية، ولا يمكن الانسلاخ عن أحدهما، وهي الأصالة التي رسّخها السلف. ونفتخر كجزائريين أنّ سلفنا طارق بن زياد، وموسى بن نصير وعقبة بن نافع، والوعليسي، والمشدالي، وابن باديس والشّيخ بيّوض... دون أن يفسد للودّ قضية ولا يجرّ المسألة للهاوية، فقدم المساواة يجرّ إلى التنافس التكاملي وأنعم به من تنافس! وتراثنا ليس ملكاً لأحد، فهو ملك للحضارة الإنسانية ونسعد أن نكون طرفاً مضيفاً، دون أن ننسى عمليات التأثير والتأثر بين مختلف المكونات الوطنية والخارجية. ويسوق الدكتور (محمد بن عبد الكريم الجزائري) (في كتابه الثقافة ومآسي رجالها) ص 169 أدلة وبراهين كلّها تؤكد العلاقة الوطيدة بين العربية والمازيغية؛ منها:

أولاً: ثلث مفردات المازيغية عربية النزعة.

ثانياً: وجود حروف في اللغة المازيغية لا وجود لها في غير اللغة العربية. ثم لا تكاد تجد حرفاً من هذه يعسر النطق به في تلك، مثل حرف الضاد والعين والغين والطاء، وبخاصة حروف الإطباق التي لا توجد في اللاتينيات، وجميع الحروف التي تفرّدت بها لغة الضاد.

ثالثاً: هذه اللغة هي لغة ذات ضاد؛ كالضاد العربيّة تماماً.

ويخلص إلى القول بأنّ "البربريّة ليست مستقلة بذاتها، وإنّما هي عربيّة في أصلها قد تحرّفت بطول الزّمن، حتى أصبحت أكثر بعداً عن العربيّة الفصيحة من هذه اللهجات العاميّة المختلفة التي تتكلمها الشعوب الناطقة بالضاد». وهذا ما قرّرتّه دائرة معارف "Universalis/ يونيفرساليس" مؤكّدة: "أنّ اللغة البربريّة امتداد لصيغ اللغة العربيّة" وأنّ الآداب البربريّة "مستمدّة من المشرق العربيّ"، وأنّ "جميع اللهجات البربريّة مطبوعة بطابع اللغة العربيّة". وتبقى هذه الآراء لأصحابها، ولكن المهمّ في الأمر أنّه لا صراع لغويّ قائم، ولا خلاف في الرأيّ الجامع وربّما هناك تباين في منهجيات استعادة الهويّة اللغويّة بمفهوم يراه كلّ طرف بمنظار خاصّ. وأخلص للتذكير بما قلته في هذه الولاية ذات سنة³ "أهلي الكرام: هكذا ترون أنّ مسألة الهويّة اللغويّة في الجزائر مفروع منها؛ فهناك تعايش لغويّ منذ دخول الفاتحين هذه البلاد، فلقد تخصّصت كلّ لغة بمجال معيّن وما حدث صراع يمكن الإشارة إليه، فهنا نقول: إنّ المازيغيّة والعربيّة صنوان متكاملان غير متصارعين يكملان بعضهما البعض، ويتوجّهان لمستقبل مشترك ووحدة المصير، فأنعم به من تكامل!".

وإنّه لا بدّ من تأكيد مسألة الاندماج الكلّي أو الانصهار، فمفاخر البربر تكمن في قبولهم الغير وفي التّعاش مع الآخر، وفي احترام ما يؤمن به، والدفاع عن تحقيق مرغوبه إذا كان يخدم الجماعة. وعندهم أنّ الأصل ثابت والهويّة مكتسبة بالاختلاط أو الجوار أو المصاهرة، فعدد العرب أصلهم مازيغيون استعربوا. هذا الاندماج الرّائع قلّ مثيله، وهو دليل على عمق العلاقات وعلى أنّ ما يجمع شعب الجزائر بمختلف أطيافه أكثر من أن تزلزله أصوات الفاشلين، ولا يهزّه كيدُ

³ - صالح بلعيد "هويّتنا اللغويّة: المازيغيّة العربيّة صراع أم تكامل" محاضرة أقيمت في الملتقى الثّاني لعلماء ولاية البويرة في 24-25 أفريل 2006، قاعة الأفراح.

الكائدين. فدامت المحبة، ودام التأزر، ودام المازيغيون تاجاً فوق رؤوسنا، ودام العربُ تَبْرًا على ذلك التّاج.

— الخاتمة: إنّ الثقافة -في عمومها- تخرزن كلّ معاني الشّراكة، وهي رأس المال الذي تحتكم إليه الجماعات. ولكن لا يمكن تصوّر ثقافة دون مستقبل، ولا يمكن أن تكون الثقافة في معزل عن الاعتراف بالعقلانية النّقدية، والشّراكة القائمة على الاعتراف بالتعددية والنّهوض الثقافيّ الشّامل في مجتمع مدنيّ يمزج بين الأخذ والنفيّ وفق المنطق العقلانيّ، ويستثمر بين التّراث والحداثة، وهذا هو السّبيل الكفيل لمواجهة التّحديات القادمة التي تقبل التكيّف وفق شروط جديدة قادرة على صياغة مجتمع تراثيّ حديث. ويجب الإقرار الآن أنّنا في مجتمع متجول: الجوال والمحمول في اليد وفي عالم الفسبكة والتّوترة واللويحة، وما تحمله من ثورة الاتّصالات. هي بضاعة معلومة الإنتاج والاستهلاك وهناك تنميط للبضاعة النّقافية وتسويقها عبر الشّابكة وتتحكّم فيها شركات عالمية تنتمي إلى الشّمال المتقدّم، فهل يمكن أن نبقي بما لها من تراث وحديث. في الحقيقة يصعب البقاء بتقافتنا خارج النّمطية، وإذا لم نندمج سنكون خارج التّغطية وخارج الزّمان، وسنكون من المتحفّين، وسينظر إلينا الزّمان على أنّنا من الماضين/ الماضويين الذين لا مكان لهم في خريطة اليوم. وما كان علينا الانعزال، فهناك قيمٌ مشتركة إنسانية، وهناك توافقٌ للتطور الجمعيّ، وهناك تعددية لغوية وثقافية، وهناك تدبيرٌ جديدٌ، وموقعنا أن يكون لنا مكان تحت ظلّ هذه المتغيّرات؛ بالمحافظة على الخصوصيات، وهذه هي الوصفة التي يمكن أن نكون، وإلاّ سوف نقرض.

وجدير بالذّكر أن نعتمد الصّيغة النّاجحة لفعل المسلمين في أنّهم لما فتحوا بلاد البربر/ شمال أفريقيا لم يفرضوا لغتهم بوسيلة ما من الوسائل كما يفعل الاستخراب البارحة واليوم، بل كان ذلك عن طواعية وبدافع روحيّ وطوعيّ من تلك الشّعوب حباً في دينها وللغة كتابها، والدليل على ذلك أنّ الإسلام والعربية دخلتا معاً بلاد السنّد + آسيا الوُسْطى + القوقاز + روسيا البيضاء + فرنسا + أوربا الشّرقية + بلاد

فارس+ تركيا، بقي الإسلام وعادت العربية، ولكن لم يحدث هذا في شمال أفريقيا حيث حلّ الإسلام بقيت العربية، فما لا يعرف به الدين فهو من الواجب. ولذلك بقيت العربية واجبة لفهم الدين، وبقيت العربية بقوة ناعمة، بالطّوع لا بالإجبار بل وجدت محلّها الطّبيعيّ لأنّه يُتلاغى بها وتُستخدم في المعاملات التّجاريّة وبخاصّة في تجارة طريق الحرير وكذا في طريق الملح، فكانت نسبة كلمات اللغة العربيّة في لغة Langue Franca ما يقرب إلى 54 % وهذا قبل وبعد الفتح الإسلاميّ؛ حيث كان التّجار من العاملين على تداولها، ولما جاء الفاتحون لم يجدوا صُعوبة في التّواصل، بل إنّ العاملين على تطوير العربية كانوا من المازيغيين؛ إن لم نقل إنّهم من الميسّرين للنّحو العربيّ، وقد بنّوه على نسج حفظه في منظومات شعريّة كانوا مازيغيين من مثل (يحيى بن معطّ الزّواويّ+ ابن أجوم).

وقد كان ذلك الفتح الإسلاميّ العظيم فتحاً للأذهان قبل البلدان، وغرساً للدين والإيمان في النفوس قبل الأوطان، ونشراً للعدل والإخاء، وإعزازاً للسّكان، وإنّقاذاً لهم من تسلّط الرومان. وما أحوجنا اليوم إلى تمثين ذلك التّلاحم القديم المستمرّ وما أروع التّلاحم الذي كان بين العرب والبربر في فتح الأندلس، ونشر الإسلام في العالم؛ فالعربيّ والمازيغيّ بينهما روابط: الدّين والجنس، والنّبيّ والقبيلة والتّاريخ، فما أمتّتها من روابط!

— التوصيات:

- 1— العمل على ترقية وصفة الأجداد في تمثين المقدسات الثلاث: المزرُوعة+ العرُوبة+ الإسلام.
- 2— استكناه مداليل الثقافة الوطنيّة بما لها من أصول وفروع وتطور.
- 3— التّماهيّ في الثقافة الوطنيّة، وعدم الانغلاق على الذات بدعوى الخوف من الذّوبان والانقراض.
- 4— الدعوة إلى قراءة علميّة جادّة للأصالة، وربطها بآليات التّحديث والعولمة.
- 5— خدمة المواطنة اللغويّة دون عقدة بإنزال اللغتين الوطنيّتين الوظيفة اللغويّة والعلميّة لكلّ واحدة.
- 6— إيلاء الثقافة الوطنيّة الصّيغة الرّمزيّة حسب مقتضيات الثّابت والمتحرّك.
- 7— دعوة المدرسة الجزائريّة وكلّ المسهمين في الفعّل الثقافيّ إلى الاهتمام بإحياء الممارسات الأصليّة البربريّة مثل: إحياء المناسبات الدنيّة+ بعث فنّون القول+ حكايا الجدّات+ ممارسة الحرف التقليديّة+ الاهتمام بدور المرأة المازيغيّة في المحافظة على الموروث الماديّ واللاماديّ.
- 8— الاهتمام بالفنّون التشكيلية وتميئها وتنويعها والمحافظة على ما يتوافر منها في المتاحف.
- 9— تحقيق أهداف التنشئة الثقافيّة للطلّ الجزائريّ، وربطه بتراثه وهويّته وقيمه الأصليّة.
- 10— دعوة الباحثين إلى النزول إلى الميدان، وجمع كلّ أشكال الثقافة الشفاهيّة المتداولة وتسجيلها/ تدوينها لتكون في يد المهتمين بخصوص دراستها.
- 11— تأسيس موقع على الشّابكة بهدف وضع أوعيّة الثقافة الجزائريّة بين أيدي الجميع.
- 12— تمثين جهود الباحثين كلّ في ميدانه من أجل التّكامل الوطنيّ في إحياء مختلف المظاهر الوطنيّة القديمة، وتشجيعهم من أجل المزيد من العطاء.

13- ضرورة الوعي بآثار العولمة، والتعرّف على مشروعات الهيمنة وتهميش الثقافات المحليّة ومن خلالها توجيه الدعوة إلى صياغة تشريعات جديدة منافية للإلغاء.

14- تلمين فعل القيادة السياسيّة الجزائريّة التي أرست طريق الانفتاح على الممارسة التعدّديّة اللغويّة، وعطلة الأول من يناير، وتأسيس المجمع الجزائريّ للغة الأمازيغية... فهي مبادرة من مبادرات المصالحة الوطنيّة والثّقافيّة مع الذات الوطنيّة، وتأتي في إطار درء الشبهات، ورأب التثقّقات، والطريق تصنعه الأقدام وتوشّح الدراسات، والله تعالى يقول ﴿حَتَّمَهُمْ مَّسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ المطفّون 26.

المخطوطات في بلاد الزواوة ♥

– ديباجة: إنه لمن دواعي سروري أن أكون في مدينة هضبة العوسج / Ville des Genêts هذه هي _Tizi-Ouzou تيزي أوزو التي كوّنت شخصيَّتي العلميَّة، وأحاطتني برعاية متينة تلميذاً ومعلماً وطالِباً وأستاذاً ورئيس مخبر ومسؤولاً، فلقد فتحت لي آفاق البحث العلميِّ، حتى أحاطني المريدون، ودفعوا بي إلى مزيد من النَّتاج العلميِّ. فماذا عساني أقول فيك يا مدينتي وأقول ما قاله (مفدي زكرياء) في الجزائر:

فيا أيُّها النَّاسُ هذه بلادي ومعبُدُ حَبِّي وحُلْمُ فُوادي
وإيمانُ قلبي وخالصُ ديني ومبناهُ في ملَّتِي واعتقادي
بلادي أحبُّك فوق الظَّنونِ وأشدُّو بحبِّك في كلِّ نادي
عشقتُ لأجلك كلَّ جميلٍ وهمتُ بحبِّك في كلِّ وادي
ومن هامَ فيك أحبُّ الجمالِ وإن لامه الغشْمُ قال: بلادي
وفي كلِّ هذا أستذكر تلك الأشعار التي دبَّجها الشَّاعر الملهم مفدي زكريا حول المازيغيين:

فأبناء مازيغ قادوا الفدا وخاضوا المعامع يوم الصِّدام
وساقوا المقادير طوع خطاهم وشادوا البنا وأقروا النِّظام
ونحن الأمازيغ نرعى الدِّما م، ولا نحمد الفضلَ والآصرة
بالفعل، هي كلمات في الصِّميم، وهي بلاد المازيغيين الذين جمعوا بين الأصالة والحضارة وقالوا: بالمازيغيَّة نبقى، وبالإسلام نشكِّل العروة الوثقى. هي بلاد الأمازيغ وقد قال الفنان الشَّريف خدام في مدح بجاية الحضارة:

♥- الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس بمناسبة انعقاد الندوة الجهويَّة في دار الثقافة بتيزي- وزو. في 15 جانفي 2019.

أبفايث تلهي ذا أروح ألقبايل، وأقول: بالفعل ولكن لا ننسى كذلك أن: ثوبيرت ثرنى نول ألقبايل، وثيزي ثعلى ذا ألمخ ألقبايل. هي ديباجة استهلالية تعود بي الذكرى، وأقف عند بعض الأطلال، ويأتيني صداها من خلال أيام الشباب وقد كنت هنا.

إخواني الحضور، إن المجلس الأعلى للغة العربية، والمجلس الإسلامي الأعلى يتشرفان بعقد هذا اللقاء التحسيبي العلمي من خلال هذه الندوة الجهوية حول المخطوطات في بلاد الزواوة، بعنوان (المخطوط والتواصل الثقافي في بلاد الزواوة) وسيكون لهذه الولاية شرف استضافة فريق (مشروع معلمة المخطوطات الجزائرية) بمسمى (رقمنة المخطوطات) وسيكون أول الطريق من هنا، وسيشهد التاريخ أنه وقع الاختيار على منطقة الزواوة لما للزواويين من كنوز متون الأجداد، فهم في أصلهم أصحاب العلم والتعليم والإخلاص ومهد العلماء، فهم المرابطون المشهورون بالشهامة والأصالة والمزوجة، وهم الذين كانت لهم الأيدي العليا في أنهم يعطون ويعطون، وقد أعطى أجدادهم الشيء الكثير، وكان لهم دور علمي في ممارسة الكتابة، وترك البصمات على الورق الأصفر، والمحافظة عليها. وكذا ما تحويه الزواوة من زوايا، وكتاتيب تحفيظ القرآن، ودور العلم، ومساجد عامرة، ومدارس دينية عامة وخاصة؛ وكلها تحفظ الذاكرة الوطنية منذ الفتح الإسلامي وإلى الآن، وكلها شهادات على أنهم كانوا هنا، وقد مروا من هنا وبعضهم استقر، وبعضهم غادر، وكلهم تركوا بصمات مادية ولامادية في هذه الولاية، ولا تزال الريادة لمنطقة الزواوة في هذا الأمر. أقول وأؤكد شرف استضافة الندوة الجهوية الأولى حول المخطوطات في بلاد الزواوة، ويقوم المجلسان بالبحث عنها وحفظها من التلف. هي خطوات أولى، ضمن مسار طويل يوصل إلى الكشف عن أمات المخطوطات، ووضعها في أكثر من قنوات، وحفظها بآليات الحدثة وفي ذات الوقت جعلها قريبة وسهلة وواضحة وجاذبة، وتكون في يد المحققين والدارسين وفي متناول كل من يهمله أمر المخطوطات.

أيها الجمع الكريم، صحيح بأن هذه الكنوز تحتاج إلى رعاية، وضبط وشروط تتأزل ولكن يمكن القول بأن المنظمات الدولية في وقتنا الحالي تتصحننا بضرورة التماهي الجيد مع المخطوطات، والعمل على صيانتها وجمعها ورقمنتها ووضعها في متناول الباحثين، على أنها ملك للإنسانية، ولذلك أنشأت UNESCO/ اليونسكو برنامج ذاكرة العالم سنة 1992م من أجل الحفاظ على التراث الوثائقي والوصول إليه في أنحاء مختلفة من العالم، وأن يكون الوصول إليه في شكل رقمي. وأن ALECSO/ الألكسو سنت اليوم العربي الموسوم (يوم الوثيقة) وتحفي به مراكز المخطوطات العربية، وهو السابع عشر (17) أكتوبر من كل سنة. ومن بين أهداف هذا اليوم تسليط الضوء على أهمية الوثائق على أنها ذاكرة الأمم والشعوب وإحدى أدوات وأدلة الإثبات؛ بالإضافة إلى كونها مصدراً مهماً للمعلومات، وأساساً لإرساء آليات الحكامة، ومن الضروري تدبير حسن التخطيط للمخطوطات والإدارة السليمة لها، وهي ملك للحضارة فلا يحق القفل على ما هو ملك للبشرية.

— مقدمة: تكمن أهمية هذا العمل الذي يقوم به المجلسان، بمرافقة وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية والتكنولوجيات والرقمنة، في العمل على حفظ الهوية الوطنية، وهذه الهوية بعضها موزع في بعض خزائن المواطنين المملوءة بجواهر أفل عليها وبعضها في رفوف الزوايا، وبعضها في قصور صحراننا وبعضها في المكتبات العمومية وبعضها في المكتبات الخصوصية وبعضها مجهول، وبعضها بُنيت عليها الحيطان، وبعضها محل نزاع عائلي... والذي يهمننا من كل هذا أن هذا الإرث التراثي هو تراث وطني مفيد ومهم، ويُعزّز الشعور بدورنا الحضاري عبر مئات السنين، ويحافظ على هويتنا الوطنية، ألا يجب أن يكون متاحاً لمن يبحث عنه دراسة وتحقيقاً، أو ليس بقاء (إفنيقن) في المكتبات الخاصة، أو في صناديق مغلقة، أو في سرايب غير مهوية، مضيعة وخسارة للوطن، وقد تضيع دون فائدة ولا مستفيد، وتضيع معها الهوية، أليس من واجبنا التداعي لحفظ هذه المتون ورميها في يد المختصين وإذا ختمت عليها فألقوها في يد

الباحثين، كما قال المولى تعالى ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْرِ فَلْيُقِهِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه 29. ولا شك أنه لا يكون هناك عدو، بقدر ما يكون هناك عالم مفيد ومستفيد؛ من خلال ما يقوم به من واجب المخطوط طبعاً ودراسة وتحقيقاً، بل وانتشاراً. وهي الغاية التي نرجو أن نعمل على تحقيقها.

إخواني الحضور، إنَّ المجلسين يسعيان لحفظ الذاكرة المشتركة من خلال هذا المشروع ولا يقومان بالفهرسة فقط، بل يعملان بصيغة الرقمنة، وهي وضع أجهزة ذكيّة لحفظ هذا التّراث، وقراءته وحوسبته واستجوابه وإحصائه والتّعامل معه بسرعة عبر برمجيات ذكيّة، وقد بدأنا في بناء منصّتها وعبرها تنال الانتشار. فبدل أن يأتي المحقّق من بلاد بعيدة لتصوير المخطوط يعمل المجلسان على تقريب المخطوط لأيّ باحث، عبر الشبكات العالميّة ويُنحان التّعرّف عليه عبر بطاقة هويّة، كما يسمحان له بتحمله وتحقيقه ودراسته، وما ينجرّ عن ذلك من مطالب الدّراسة، مع تخصيص وسائل أمن المخطوط؛ بحفظ المرجعيّة لصاحب المخطوط ومسلمي المخطوط، وللمؤسسة التي جعلته في قناة الشّابكة.

أيّها المالكون للمخطوطات، إنّ لقاءنا اليوم يأتي في إطار التّحسيس بأهميّة هذه المخطوطات التي ليست في متناول المؤسسات العلميّة، أو ليست قيّد الدراسة والتّحقيق، ويسعى المجلسان إلى ربط آليات التّعاون بين المجلسين والأهالي المالكين للمكانز، ودعوتهم إلى ضرورة التّعاون؛ لجعلها في آليات لها صورة الانتشار، وليكون لتراثنا موقع تحت الشّمس، وتلك دلالة ثبّت على أنّ أسلافنا أسهموا في الحضارة الإنسانيّة، وأبدعوا بوسائلهم البدائية ما هو من المعجز ربّما وهل لا يمكن أن نواصل المسار، بما لنا من أفكار، وما نملك من صوّر الاقتدار.

وإنّ فعلنا هذا يدخل في باب الصّدقة الجاريّة، بل يضاف إلى إحياء الموتى عبر ما تركوه من أوراق صفراء، وقد أفنوا جهودهم فيها من أجل إفادة البشريّة بل من أجل الصّالح العامّ. وها هم يروننا اليوم نحبي ذكراهم، ونستذكرهم عبر

مدوناتهم، وتعلق في أذهاننا سيرهم عبر عوائلهم التي حافظت على مكنوزهم، وصانته من الابدثار، وها هي اليوم تنقله من جديد، بل تقدّمه إلى البحتة؛ ليبقى الميّت حياً. وهذا ما كان الأجداد يوصوننا به أن نكون أو لا نكون أن نكون خير خلف لخير سلف.

ومن خلال هذا الموقع، ندعو كلّ الأسر المالكة لهذا التراث إلى التعاون مع المجلسين؛ بإمادهما بما يملكون من **إيفنيقن**، ووضعها في قناة الرقمنة وإعادتها سليمة إلى أصحابها دون نقص. وهذا مبتغانا الذي سوف نواصل هذا المسار المنير في منطقة الزاوة وعبر ولايات بجاية وسطيف وبرج بوعريرج وستكون لقاءات لنا أخرى في قصور صحرائنا الشاسعة عبر مدائن زواياها ومكتباتها، ونرج على بعض الزوايا في الوطن والتي نروم أن تتعاون معنا في حفظ هذه الكنوز عبر برمجيات معاصرة. وهناك ما هو من المتفق عليه بأنّ المخطوطات التي هي في قناة المجلسين، وقد وقعت رقمتها وستكون متاحة في أعدادها الأولى في الشبكة العالمية بمناسبة وطنية عظيمة؛ وهو يوم العلم سنة 2019م. وهذا العهد قطعه المجلسان أمام الإعلام وأمام لجنة (معلمة المخطوطات الجزائرية) ونأمل أن نكون أوفياء لما صدر منا، وفي الوقت المضبوط.

تلكم كلمة المجلس الأعلى للغة العربية، وهي مستفاعة من مشروع (معلمة المخطوطات الجزائرية) التي يجري إنجازها شراكة مع المجلس الإسلامي الأعلى، وقد أثمرت هذه الشراكة على منجزات حول المواطنة اللغوية، وفي لقاءات حول لغة الحق والقانون، مع جامعة الجزائر 1، وهناك مولود سيظهر هذه السنة موسوم (قاموس مصطلحات القانون) وهناك آفاق واعدة بمواصلة مشاريع كبرى، مع العمل على الحصول على نسخ من المخطوطات التي صورها مجمع جمعة الماجد بدولة الإمارات العربية المتحدة. وهناك تعاون كبير مع المخابر الوطنية ذات العلاقة في كل من أدرار، ووهران، ومستغانم

وبجاية، ومكتبة خاصة ببجاية وفي كل من البويرة، وباتنة، وبرج بوعريرج وتيزي- وزو، ومع باحثين مختصين في المجال، وهم الآن معنا، بل هم الذين يُشكّلون فريقَ (معلّمة المخطوطات الجزائرية) إضافة إلى آفاق التعاون مع معهد المخطوطات لدى أكاديمية العلوم الأذربيجانية...

أنا شاكر لكلّ الذين حضروا لهذا المحفل العلميّ، لكلّ من حضر معنا، ولكلّ من يخدم المواطنة والتراث، فنعم الرجالُ أنتم أيّها القائمون على خدمة الشّأن العامّ! ونعم المخلصون أنتم ما دمتم! فدوموا أوفياء على العهد كما عهدناكم.

قامات خالدة، وأقلام واعدة، مرفوعة لعثمان لوصيف

— **الديباجة:** أيها الجمع الكريم، لأول مرة أحضر هذا المحفل العلميّ في طبعته الرابعة، وأجدني أسترجع بعض الإضاءات المنقوشة في ذاكرتي من تاريخ مشهود لعلماننا البلاغيين أمثال الشّريف التلمسانيّ، وعبد الكريم المغيليّ، وعبد الكريم الفكون، والبشير الإبراهيميّ، ومفدي زكرياء، وأراني في حضرة الشّعراء ولست منهم، ولكنّي من الغاوين، فبماذا تجود عليّ الكلمات لأكون ملتياً لغرض الإسهام في هذه المبادرة التي جاءت من أصحاب الفضل؛ لشخص ذي أفضال أصبح اليوم رسماً. ونحن الآن نستذكر روحه مصحوبة بتكريم قامات أدبية لها ما لها من إبداع؛ وهي جديرة بأن تعلق عليها نياشين الاستحقاق. فما عساني أقول يا أهل هذا الفنّ، ويا أصحاب الدوسن.

وأمثال هؤلاء ليسوا بميتين، فالميت من لا يفقده أحد إن غاب، ولا يعبأ به إن حضر، والميت من أسقطه الناس من قاموسهم. وأما الأحياء فهم من يلهج الناس بذكرهم، وذكر الشّخص عمره الثّاني. ومن يكون لهم العمر الثّاني أصحاب المروءة وجابرو الكسور، ومعلمو النّاس والابطال والشّعراء والفنّانون والمبدعون فطوبى لهؤلاء، ولوصيف من هؤلاء.

وأبدأ كلمتي من العنوان الذي نسجته اللجنة العلميّة، قامات خالدة، وهي الآن من الزمن الماضي والأحقّ أن تبقى لنا مرجعيات نعود إلى استكناه ماضيها التليد عسى أن تكون لنا خريطة نسج الحاضر على منوال السلف، وهذا السلف ليس ككلّ السلف، هو من السلف الصّالح، هو القدوة المتلى وبهم يقع الاستمرار، فهم من الذين عبّوا الطّريق، والطّريق المعبّد صنعته أقدام التّابعين، وإن أحسن اللاحق فإنّ

♥ — أقيمت الكلمة بمناسبة (أيام الدوسن الأدبيّة العربيّة للإبداع الشعريّ) الطبعة الرابعة. الدوسن 19-21 جانفي 2019 الولاية المنتدبة للمقاطعة الإداريّة أولاد جلال.

الفضل للسابق. وعندما يحسن السابق، فإنه لا يموت، وسوف يصنع منه التاريخ أيقونة للذكرى، وهذا ما كان بالنسبة للحي الميِّت الشاعر عثمان لوصيف.

— كلمات في الشاعر: إنَّ الشاعر عثمان لوصيف، شاعر خارج التصنيف، لأنه من الشعراء الذين حولوا الممكن والمستحيل إلى كلمات خلقت حقيقة شعرية هي حقيقة عثمان لوصيف وظاهرة عثمان لوصيف، منذ أن نشر أول دواوينه الكتابية بالنار في بداية الثمانينيات، حيث تجلّت اللغة العربية والكلمة فيه وهجاً بقي في حالة صيرورة دائمة ولهيبة إبداعية حتى وفاته.

قرأنا منذ ذلك الوقت، ومن خلال دواوينه التي قاربت العشرين (20) قوته وضعفه ونكوصه وتحديه، وألمه ورضاه، فكان شعره كلّ تحديات مستمرة غالبت الحياة، وغالب التقليد حين احتلّ موقعاً ريادياً في جيل الثمانينيات، وقد حدث فيها تحول اجتماعي وسوسيو ثقافي، فكان من بين شعراء هذا الجيل الذين تجاوزوا الإيديولوجيا، وراهنوا على التجديد والتحديث، وكان رائداً؛ حيث جعل النصّ هاجسه الأساس، ومكّن اللغة العربية من التجديد من خلال الشعر، وتخلّص من بلاغة السبعينيات، فكانت التضحية بالإيديولوجيا مطلباً أساساً عنده، وجعلت منه شاعراً، انتصر للشعر، ولم تنتصر له الحياة.

وفي خضم هذا الانتصار إلى الشعر ومغالبة التقليد، قارب النسغ الجميل من الذاكرة الشعرية العربية، فنهل من عوالم التصوّف الخفية، ونسج من وحيه معارجه، وانتغل بالحلم وعشق الكتابة فصنع أسطوره الخاصة، وشكلت دواوينه المتواترة بعمر يفوق ثلاثين (30) سنة، وفي كلّ سنة ينسج مقاطع متواشجة مثلت لوحة فسيفساء، يكتشف القارئ من خلالها طقوس الكتابة، وعبق الشعر وقداسة اللغة العربية التي أبدع بها وفيها حين عمد إلى إحياء كثير من الكلمات التي غابت عن الشعر الواقعي، ومقتضيات شعر القضية الثورية، فكان إحيائها نوعاً من التجريب الذي قاده إلى صياغة عوالم أخرى وبقي مع ذلك وفيماً لقواعد اللغة العربية والقواعد البلاغية والعروضية، فبدأ بالقصيدة العموديّة، وانصرف عن

النثرية الفجة، فلم يستغ القصيدة النثرية، وكانت قصيدة التفعيلة هي الفضاء الذي سمح له بممارسة طقوس الإبداع الشعري، وطقوس الكتابة بالعربية التي شكّلت العالم التصويري، ومنابع الايقاع لديه.

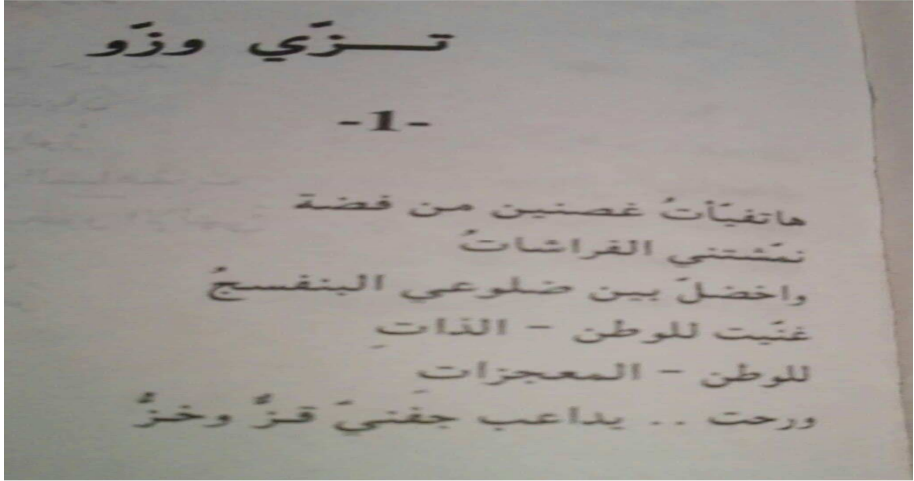
لقد ثقّف لغته الشعرية بألوان الطبيعة الجزائرية ومن كلّ المناطق من خلال احتفائه بالمدن الجزائرية: غرداية ورقلة وهران وتيزي-وزو والجلفة، وغيرها من المدن الجزائرية، وجعلنا نشمّ رائحة الشّيح والتّين والزيتون، فكان شعره تلك الخلطة المبهرة التي نقرأ من خلالها وقع الحافر على الحافر في الصّحراء، وكانت تلك طريقته في التّوجّه نحو فهم العالم من حوله، وقسوة الحياة، غير أنّ الشّغف بالشّعر كان أقوى من العالم ومن الحياة نفسها، ولذلك كان مسكوناً بشغف جامح، وقدرة فائقة على التّخييل والتّصوير والإحساس الفائق بإيقاع اللغة وقديسيّة الكلمة، فكان نموذجاً يحتذى في إنتاج عوالم من الصّور، ينطلق من ذاته، فيجوب عوالم أخرى، ليعود مرّة أخرى إلى عالمه الخاصّ ولذلك لم يعرف عنه أنّه بالغ في التّجريب ولا في البحث عن البدائل من خارج عالمه على الرّغم من أنّه تأثر بالشّعراء الرّواد من أمثال سعدي يوسف وأدونيس ونزار وغيرهم، لكنه أصرّ على إطلاق العنان لخياله، ليقضي عمره الشعريّ في البحث عن صور عجيبة، غريبة ومن أقصى ما تتيحه له عوالمه التّخيلية، وهو اجسه الروحيّة، فكان لا يدخل موضوعاً إلّا متصوّفاً، ولا يخرج منه إلّا وهو صاحب كرامة شعريّة.

إنّ الشّاعر عثمان لوصيف خارج التّصنيف وقامة إبداعية، قد لا تتكرّر في تاريخ الأدب الجزائريّ، غير أنّ الأكيد أنّه ترك شعراء من بعده قادرين على أن يجعلوا عثمان لوصيف مستمراً فيهم، فلا صوت يعلو على صوت عثمان لوصيف ومنه ينبغي أن يستمدّ الشّعراء الإحساس بالشّعر والحياة على الرّغم من التّدايعات التي لم تكن تخلو علاقته فيها مع الحياة.

إنّ عقد هذه الأيام الأدبية باسم عثمان لوصيف هو اعتراف بالجميل الذي قدمه للشّعر وللغة العربيّة وللجزائر، ولو امتلكت بعض الأقطار ما يشبه عثمان لوصيف

لنصبت له تمثالاً في كل مدينة، وأتمنى أن يكون مثلاً يحرك الشعر، ويجعله مستمراً في نفوس الشعراء ما دامت الحياة.

— عثمان الشعر والشاعر: لا يمكنني أن اتحدث عن شعرية عثمان لوصيف أمامكم، وقد بصرت بقليل ممّا تملكون، وممّا استمتعت به من خلال دواوينه أنّه أعطى للشعرية مفاصل الشعر من خلال: أعراس الملح، كتاب الإشارات، نوش وهديل. وأترك المسألة للشعراء والباحثين، ولكن في يدي وثيقة ادبيّة ألقاها ذات زمان في جامعة مولود معمري، تيزي-وزو، وكان عليّ أن أفق وقفات بسيطات حيث يقول:

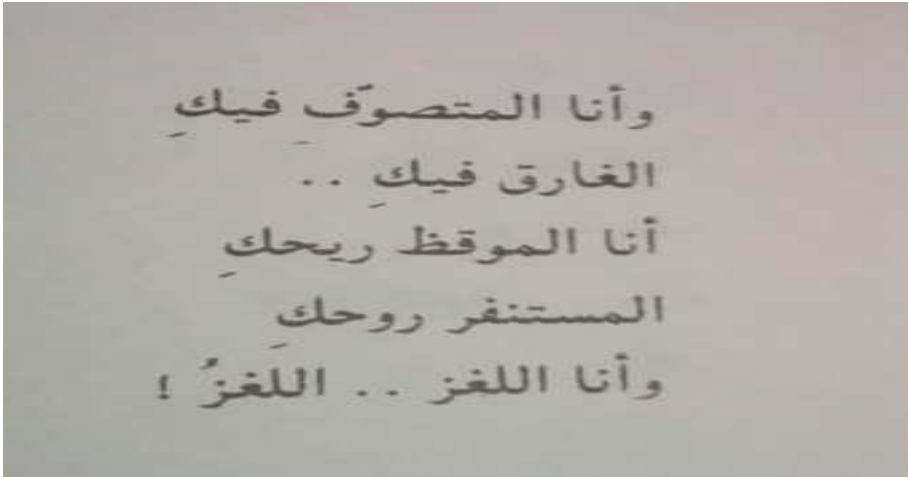
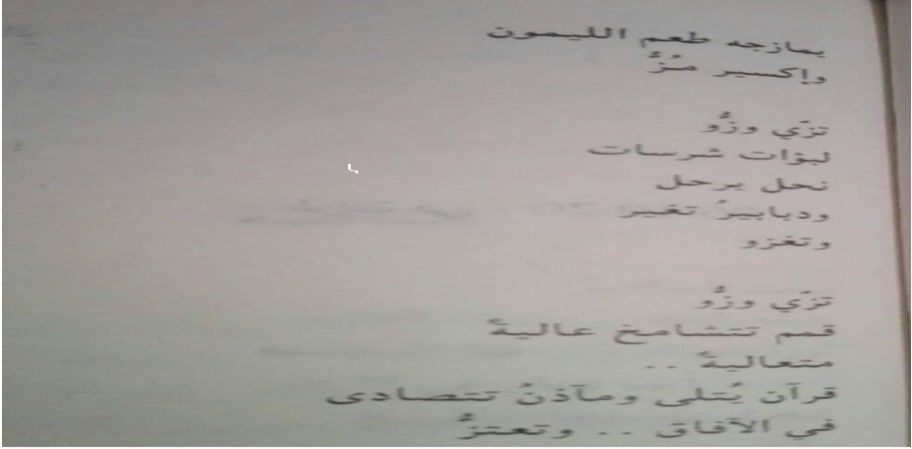


سفحت نشيدي على الهضبات
مسحت وريدي على جذع زيتونة
واعتنقت الذري ..
فجأة غشمتني بروق
وددعج جرحي نزع ووخز
مشيت الهوينا .. قوافي زقزاقة
وحروقي تنز .. تنز
تجلت لعيني بين الغمام حورية
في محارها ينعس السنديان
وبين أصابعها يا تسون ولوز
وراحت تطوف على القمم الشاهقات
تغني وتختال محفوفة بالبخور الإلهي
حتى ثملت وزبغني العشق
زاغ القصيد .. وماشفت رمز

وناديت : أهواك ! أهواك !
أعيد عينك !
أجثو على قدميك !
أقبل رقلة ثوبك !
ناديت ثانية
ثم ثالثة
ثم رابعة
ثم سابعة
ثم ..
ناديت : يا ابنة جرجرة !
يا عروس النجوم !
تأججت الذكريات
وهم الحمام .. وفر الإوز
ورفرف قلبي إلى تزي وزو

تا - تينة
تخت النفسج والندی
توت وتفتغة
حليب الجوز
فيروز المساء .. وزيزفون
تاريخ معجزة
وأشبال يخوضون الحتوف مضرجين

زايان - زمزم
سلسيل الله في البلد الأمين
زيتونة عيقت نواضح زيتها ..
تور يسيل .. ويا سمين



إخواني من خلال هذه المقطوعات التيزي وزية، أرى وطنية الشاعر تذوب في معبد المدينة التي عشقها حتى النخاع، وهذا من طبعه الوطني، وكلما يدخل مدينة وأعجب بها يدبج شعراً يخلدها؛ وكأنني به يحذو حذو مفدي زكريا في إلبادته التي أصبحت تاريخاً وشعراً، والفارق بينهما أنّ عثمان ينظر للوطن نظرة متصوف عابد مهوم عاشق، يستنطق الجمال، وينظر إلى الطبيعة نظرة جمالية وكأنها لوحة

فنية أبداع فيها الفنان، وراعى كلّ لمسات الجمال. وأما مفدي فكانت له صورة استنطاق التاريخ الوطني في صورة التفاخر والعظمة لمجد البلاد، وكان شعره ممزوجاً بالشعرية والتاريخ فأنعم بالشاعرين! وكلاهما يتكاملان في الإبداع، فهل أيها الشعراء تواصلون المسار، وتزيدونا إبداعاً على إبداع.

— **الكلمة لأصحاب الفضل:** إنّ القائمين على هذا الفعل هم المريدون لعثمان لوصيف، فهم لم ينتكروا للجميل، وأراهم من الأصليين الذين لم يتخلّوا عن صاحبهم الجميل، وإن بعد بينهم اللقاء فأراهم يملؤون العين جمالاً، والأذن بياناً لصاحبهم الذي كان ذات يوم يُرجى ولا يُعشى، ويغشى ولا يُغشى، ويُعطي ولا يُغطي، فكان مسالماً للعدو، وأخاً للعزیز، وكانت الشعرية تلازمه، والجزائر تسكنه. وقد قرأت تلك المدبجات التي قيلت من أصحابه، فهذا (ميلود خيزار) يعتبره طينة نادرة والشاعر (حمري بحري) يرى في موته خسارة للشعر، والباحثة (هاجر مدقن) تصفه بفارس الشعر لدرجة أنّ بعضهم أنزله منزلة نبي ضيعة قومه. ويكفي أن نقول: إنّ عثمان لوصيف شاعر من الطراز الخاص، فهو صوفي متعبّد ينفخ في حكمة الخير والجمال، وقد شكّلت نصوصه الشعرية فتوحات في الشعر الجزائري، كما يستشف من خلال ديوانه (الكتابة بالنار).

— **الخاتمة:** إخواني، مهما تحدثتُ فلن أفي الشاعر عثمان لوصيف حقّه وسيظلّ هذا الرّجل حياً والشعراء لا يموتون، بصماتهم كلماتهم، نبوءاتهم لا تموت ولا تفتى، تُخلد وتتأبّد، تحملها الرياح فوق الحواجز، تتحدّى الأزمنة. ولقد كان الشعر وكانت الكلمة، والشعراء فوق الأوطان وفوق الملوك والسلاطين، وكلّنا يعرف (هوميروس) و(امرؤ القيس) و(المنتبي) و(نزار قبّاني) و(مفدي زكرياء) وصاحب الشّهامة، و(صاحب رائعة أحنّ إلى خبز أمّي) ومُنسج لامية العرب و(طاغور) و(لوركا) ولا نعرف ساسة تلك الأزمنة، كما عاصر هؤلاء الشعراء الملايين من الناس، فلم تُدكّر تلك الملايين؛ إلا من حظي بلفتة من شاعر.

إخواني الفاعلون في الساحة الأدبية والفنية، إخواني الشعراء، كونوا دائماً متألقين، انسجوا وذبجوا أشعاركم من نقاء سريرتكم، ووجهوا المجتمع إلى التكامَل والتعايش في سلام، والشعر يجمعنا ويربط الودَّ بيننا، ويزيدنا حباً وتآلفاً. وإنَّ المبدعين أقدر على الخلود، وأجدر النَّاس به، فكونوا خير خلف لخير سلف، وبكم يبقى الإبداع مخلصاً لمبدعه، مرتبطاً باسمه، وإنَّه من العمل الذي لا ينقطع بموت صاحبه.

سعدتُ بأن أكون في مملكة الشعراء، ومع الأقلام الواعدة، ومع الإبداع العربي واللغة لا يرقِّيها الصنّاع ولا واضعو اللغة، بل يرقِّيها المبدع، والعول عليكم أيها المبدعون، فاطرقوا أبواب اللغة وفجّروا آلياتها، واخضبوها بآليات الحداثة واخضبوها من يد المحنّطين، وادفعوا بها إلى حسن الاستعمال وسيلتطقها الشعراء الذين يملكون مستلزمات الشعر، وما يضمن لها من تصرف العارف المقنن، وهي في أيديكم، وتصرفوا في الحدود الكبرى لما تُبيحه آليات الشعر المققى والحديث وموسيقى الشعر، وكل ما له علاقة بقلاع الحداثة. وإنَّ اللغة العربية تتأشّدكم أن تكونوا قلاعها وصوتها وصونها ونشرها، وبوركت أشعاركم، وبيارك الله أعمالكم ووفّقكم الله لخدمة مجدنا الجليل.

والسلام عليكم.

كلمات في حق المكرم؛ سي حاج محند الطيب[♥]

— **الدَّيْبَاجَة:** أزجي كلَّ الشُّكر والتَّقدير للفاعلين في (مركز الشَّهاب للبحوث والدراسات) ببلديَّة سطيف، فرع جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين على الأفعال المؤاخذة التي يَنشُطون فيها وبها؛ من أجل تمتين ثلاثيَّة الجمعيَّة الباديسيَّة: الجزائر ووطننا، والعربيَّة لغتنا، والإسلام ديننا. فأنعمُ بكم يا حَفَدَةَ الشَّيخ ابن باديس! ويا محاربي إبليس. وإنا نراكم تنهجون فعلهم المبين وفي كلِّ حين، ونراهم كما نراكم ونراكم من خلالكم، فهم ليسوا بميتين، والعظماء لا يموتون فالميت من لا يفتقده أحد إن غاب، فطوبى للأموات الأحياء، وطوبى للأحياء الذين يحفظون ودَّ الميتين وهم بيننا الآن يقومون على المروءة، وجبر الخواطر المكسورة، ويعلمون النَّاس ويُدعون في تطوير الراس، وفي مواصلة سير السلف، ليكونوا خير خلف، وإنَّ الوطن قام عليهم ولا يزال، وهم الفئة التي تنال، وأغلبهم معلِّمون، وقد أضحوا متمسكين، ألم يبقَ الوطنُ عاليًا بفعل الفلاح الذي يغذيه، والجندي الذي يحميه والمعلم الذي يُربيه؟ بلى إنَّها النتيجة الحتمية لفعال الكون؛ فبناء الإنسان هو بناء المعلم العون، وما ينقصنا في الواقع هو منطق الاهتمام بالمعلم العون، فأنعم بك يا معلِّم! ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء 105. ونرى فعلكم النبيل في هذا اليوم لا تنتكرون لمشايخكم ولمعلِّمكم فأنتم من الأمة العظيمة التي تحترم علماءها وهم أحياء، ولا تنتكرون لهم وهم أموات. فأنعم بكم يا جمعيَّة الشَّهاب!

أيها الجمع الكريم، أعجزُ بما أملك من قاموس الاصطلاحات والتعبيرات، في هذا المقام الذي تعلوه القامات، أعجز عن التعبير بما يليق بالمقام، وما يُزيل عنَّا السقام، وكيف لي أن أُعبرَ بالمنتهي عن غير المنتهي، فالمعاني كامنة، والأفكار

♥ كلمة أُقيمت في نادي (مركز شهاب للبحوث والدراسات) ببلدية سطيف، بتاريخ 26 جانفي 2019م.

غامرة، ولكنها لا تُدرك إلا باللغة المعبرة، والمعاني الظاهرة، فأجديني عيًّا لا أفي المكان حقّه بتاً، وأنا في حضرة المشايخ الكبار فماذا يقول الصّغار، وأنا منهم فماذا عساني أقول. واعذروني أن أقول بعض الكلمات في حقّ المكرّم الشّيخ سي حاج محند الطيّب حفظه الله.

— كلمات في حقّ المكرّم: إخواني الحضور، علّمتني الحياة أنّ النّاس يُحبّون المدح، ولكنّ مدحيّ هذه المرّة ليس كغيره، بل هو مدح حقيقيّ صادر من الأعماق. وكلماتي تأتي من وعي ضميري بأنّه لا أطلب من الأشواك أن تفوح بالعطور، ولا من الصحراء أن تنبت الزهور، ولا من فاقد الإحساس أن يهتمّ بالشّعور، بل أقول الحقيقة في مدحي، وهي في صورة المدح الجميل، وشيخنا يستحقّ المدح النبيل. تعود بي السنون إلى أواخر التسعينيات، وأنا أستاذ باحث في جامعة تيزي-وزو ألّهت وراء العلم، فكلمًا تُبرمج محاضرةً أجديني في الصّوف الأولى، وأذكر أنّ الشّيخ أعلن أنّه سيلقي محاضرةً في دار الثقافة حول (لالة فاطمة أنسومر) واستمعتُ له باهتمام، وقد أسرّني من يومها بما له من لغة بسيطة مقبولة، وبذلك الصّوت الهادئ المؤثر، وبذلك الدمثة الخلقية التي أوتيتها، فحاصرَ وجداني بوابل من الأغلال العلميّة من خلال ما قدّم من معلومات حول شخصيّة أجهلها، بل شخصيّة -كانت عندي- في دائرة الضياع. ويا له من باحث استطاع أن يلجم بعض المنتشدين النّاكرين؛ لشخصيّة جهاديّة تستحقّ التّاريخ. من يومها وأنا على علاقة علميّة انمازيّة؛ ويجمعنا شعار من لا شيخ له فالشيطان شيخه، واعتبرت نفسي مريداً لشيخي سي حاج محند الطيّب، فنعمت الصّحبة، وتوطدت العلاقات. وأراه في محافلنا الجامعيّة طالباً مستمعاً، بل سائلاً مستفسراً. وتمرّ الأيام، وأفتح في الجامعة (مخبر الممارسات اللغويّة) ويأتيني باستمرار في كلّ لقاء علمي، وفي كلّ ملتقى، وفي كلّ المشاريع الوطنيّة، ويكون عضواً في مشاريع:

- 1- مشروع جمع المدونات المازيغية في منطقة القبائل. م م ل ج
 - 2- مشروع المعجم المدرسي العربي القبائلي/ القبائلي العربي. م م ل ج
 - 3- مشروع مدونات هدهدات الأمهات للأطفال. م م ل ج
 - 4- مشروع معجم عربي قبائلي. لصالح دار النشر السعودية، دار المنشاوي.
- بله الحديث عن تلك المشاريع التي كان طرفاً أساساً في الروايات الشفاهية من مثل: تحقيق معجم الشيخ الحداد من قبل المتحدث + مدونة الأمثال والحكم المازيغية المتداولة في منطقة أمعاققة. وعملنا على طبع بعض أعماله، من مثل: الكشكول الجزء الأول + بعض المقطوعات ذات العلاقة باللغة العربية.
- وتواصلت اللقاءات العلمية والعلاقات الودية وما لها من جوانب اجتماعية، وقد خلصت من كل ذلك إلى توصيف هذه الشخصية في ما يلي:

1- الشيخ والعصامية: من ذلك الجبل من بلاد جرجرة، ومن راعي غنم، إلى معلم ومفتش، وأستاذ جامعي، وباحث، ومؤطر، هي عصامية كبيرة تعلمها من الحياة المليئة بالحجارة، فكانت لا توقفه، بل كان يبني بها سلماً يصعد بها مدارج النجاح، فقد قصد قمم الأشياء فأدركها، وما كان يقبل بالنصف وهو يستحق التمام. وبدأت رحلة النجاح من بداية الفشل الذي جوبه به أوائل حياته، وهو الوقوف عن المحاولات، فكثرة المحاولات أعطت له نتائجها، وأثمرت عن تعليم وتربية وحسن معايشة، وعن أناقة في اللسان التي كانت ترجمة لفكره، ورفعاً لمستوى تأثيره في النفس الأبية وفي الغير. وتمر القافلة بنجاح، مع هدير الوديان التي تحتاج إلى دربة المجاز. وقد أفلح الشيخ في اجتياز الصعاب التي عاركها بالعصامية الجبلية لقربة إيفرحونان، وخلقت منه رجلاً يدخل معهد قسنطينة طالباً منتفعاً مستفيداً ومفيداً. ويعطي في كل ذلك دروساً في التردد، وكان ذلك أكبر عقبة في طريق الوصول إلى النجاح فسقوط الإنسان ليس فشلاً، فالفشل أن تبقى حيث سقطت، وإنه لا تتعلم السباحة إذا كنت لا تفكر إلا في برودة الماء.

2- الشيخ سي حاج، كما يدلّ عليه اسمه، فالبادئة (سي) تنمّ عن الأصل والمُرَابطة والتدوين وعلوّ الأخلاق، والشّهامة والنُّبل، وما يلحق ذلك من علامات الطّيبة، فهو سي الطّيب. وكلمة حاج تيمناً بالمكان الذي يهفو إليه النّاس لغسل عظامهم في المثلّ الجزائريّ؛ ليعود كما ولدته أمّه أوّل مرّة؛ مغفوراً له كلّ الذّنوب. فاجتمعت الخصال الحميدة في شخص أراه يومياً في المخبر ينشر المحبّة ويزرع التّواضع، ويحصد الاحترام، ويكسب الاطمئنان، ويزداد جنبه بالطلبة الحسان.

3- محند الطّيب: كلمتان ثقيلتان في الأذهان، كبيرتان في الميزان، فمحند تصغيراً واحتقاراً أمام اسم الرسول محمد صاحب القرآن، ومحند من بيعة الرضوان. وتتلوها كلمة الطّيب من الطّيبة والإيمان، وكلتا الكلمتين تتّصلان، وكان الاسم على المسمّى دون نقصان.

4- الشيخ والأصالة: أراه مثلّ الذي يقول: لن تموتَ إذا خسرتَ من تحبّ ولكن ستعيشُ كالميتِ إذا خسرتَ كرامتك، وكن مثلّ الشّجرة؛ غيرِ المحتوى وحافظٌ على الأصول، وتبادل الأفكار، وحافظ على المبدأ. وهكذا سي حاج ما كان يضيق أبداً من بعض أسئلة لا تليق بالمقام بل كان يُوجّه ويعطي رأيه الذي يختمه باستمرار واعتزاز، والله أعلم. وأراه أحياناً يضيع بين التّأصيل وفوضى التّحصيل، في طلبه لهم نقص التّأطير، ومن الضّروري إتلاف الخسيس في حقّ النّفيس، وهي من مناهج التّحسيس، ويتعبونه أحياناً في البحث عمّا يسدّ به الفراغ فلا يجد إلّا الكتابة أحياناً، أو التّوجيه ثانياً، أو تقديم الدرس مراراً. وفي كلّ ذلك لا يتنكّر لتراثه الذي يقول عنه: الأمازيغيّة تراث ولغة، فلا تضاربَ بينها وبين العربيّة، ولكن لا يجب إدخالهما في معادلة التّسوية التّامة، فلا يمكن قياسُ حمولة كبرى على حمولة أدنى. والأمازيغيّة التي تجمعنا مرحباً بها، والتي تفرّقنا لا مرحباً بها ولا سهلاً.

5- الشيخ ودفاعه عن الحرف العربي: لقد أغرم بهذا الحرف الذي يراه أهلاً لكتابة المازيغية، وقد جربته في ترجمة معاني القرآن الكريم للقبايلية، ورأى أنه خير حرف يلبّي خصائص القبايلية صوتاً ومرونةً وسهولةً وتعبيراً. ونراه في هذا التفسير الميسر يواصل المسار، في أنه إذا أردنا أن تكون الأمازيغية لغة الجزائريين فلا محيدَ عنه.

6- من كلام الشيخ: ممّا أسطعتُ جمعَه من معاني الحكمة وأنا أرافقه في بعض الرّحلات العلميّة، وفي مختلف اللجان التي نلتئم فيها على الشّان العامّ، أنّ الشيخ تمثّل لي في ذلك الشّيخ النّصوح/ أمغار أزمني؛ الذي ينصح للسّير في الطّريق الصّحيح، وأنّ تمشي وحيداً في الطّريق الصّحيح خير من أن تكون قائداً في الطّريق الخطأ، وكذا لا تُعامل النّاس بالمثل؛ فتصبح مثيلاً بل عاملهم بطيب أصلك؛ ولو لم يستحقّوا، وإذا كانت قدمك تترك أثراً في الأرض، فلسانك يترك أثراً في القلب، فهنيئاً لمن لا يظلم النّاس بلسانه، ولا يغتاب ولا يجرح، ولا تكن من الذين إذا دخلوا مكاناً يصرخون ها أنا، بل كن من الذين إذا حلّوا بمكان يتهامس الجميع ها هو. وأنّ الصّدّاقة مطلوبة، والأصدقاء الأوفياء مثل اليد والعين؛ إذا تألمت اليد بكت العين وإذا بكت العين مسحتها اليد.

7- الشيخ والجواهر الباديّة: تمثّل لي الشّيخ مدافعاً عن جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ويعتبرهم من الذين أصلوا العربيّة في الجزائر، وأنهم اليد التي تعطي ولا تُعطى وهم القدوة الحسنة في تعليم ديننا، "وإننا على يقين من أنّ العاقبة منفرجة وإن طال البلاء" وأنّ النّصر سيكون حليفنا؛ لأننا قد عزمنا إيماناً وشاهدنا عياناً أنّ الإسلام والعربيّة قضى الله بخلودهما ولو اجتمع الخصوم كلّهم على محاربتهما" وهم الذين يقولون إذا واجهتك مُعضلة فاتخذ من العلماء مؤنلاً وجالس علماء الأُمّة، وأكثر من تبجيلهم، والعلماء بمثابة القوّة المبتوثة في جسم الدولة، فعظّم جانبهم وشجّهم، وإذا سمعت بأحد منهم في بلد آخر فاستقدمه وأكرمه.

وما قيمة الدنيا إلا في علماء باعوا الدنيا، وأحبوا العلم ونشروه، وحافظوا على المبادئ.

وما قيمة الناس إلا في مبادئهم لا المال يبقى ولا الألقاب والرُّتبُ وما أتينا إليه هذا اليوم لهو دليل على باديسية الشيخ في أن الإسلام ديننا الذي ارتضاه الأجداد طوعاً، فأعزنا الله به، وأن الإسلام لا يفهم بغير العربية، فأصبحت العربية واجبة، كما أضحت حروفها واجبة، وعلى اللغات الإسلامية ضرورة تبنيها لكتابة لغاتها الوطنية، وكذا الإبداع فيها من خلال الرسوم العربية. وكان ذلك فعله في ترجمة معاني القرآن، وفي التفسير الميسر لكلام الله، فوقع الربط بين القول والفعل، وهذه سمة الباديسيين الذين هم خير خلف لخير سلف، وسي حاج محمد الطيب منهم.

— الخاتمة: شكراً لمن التمس لنا الأعذار قبل أن نعتذر، ولمن قدر أوضاعنا قبل أن نشرحها ولمن أحبنا رُغم عيوبنا، فأنتم من الناس الذين نعدُّهم وطن هذه الأمة، فالتعرف بكم نعمة وكنز لا يفنى، وصدق من قال: معرفة الرجال كنوز. وأختم كلمتي بإهدائي لكم جميعاً هذه الأبيات:

لنفخر بما شاء من يفخر	ويمضي الأمجاد وهم يُذكر
فما الفخر إلا بأمثالكم	وأنتم بحسن الثناء أجدر
فيا حبذا معاهدنا مثلما	تنير الدجى بكواكب نير
فيا حبذا عصبه أمثالكم	تروم المعالي لها وتسهر
ويا حبذا الأمهات اللواتي	يلدن لنا أنجماً تزهر

منايع متعددة، وهوية واحدة ♥

التفكير الإيجابي لأداء وظيفي أفضل

لا نسمح للأشياء الجميلة بالرحيل

نحن من نمح الحبّ وتاريخ بقاءه في القلوب أبداً ودائماً

لا نترك صلاحية حبّك ينتهي، واحفظه بمبادلة حبّ كلّ الناس

يمكن أن نؤسس ورشات ووطنية في إطار الدعوة إلى التسامح، ونبدأ بالتسامح الوظيفي؛ وهو التأكيد على قاعدة عظيمة القواعد التي قامت عليها دولتنا وهي التسامح، وهي قاعدة مستمدة من ديننا الحنيف

كيف تتحسن سلوكيات أعمالنا في وظائفنا بشكل إيجابي؟ كيف يسود الحبّ والتسامح ومساعدة الموظف المحتاج؟ كيف نبني العلاقات الودية بين الرئيس والمرؤوس؟ كيف نفهم بعضنا البعض؟

علينا ان نسنّ إرشادات ومرجعيات ونماذج أخلاقية للعيش ضمن تمتين ما يجمعنا، وعدم مواجهة فكر من يخالفنا

الكواكب لا تتوسط بين الخالق والمخلوق

العلم شجرة والعمل ثمرة، ولا تكون ثمرة من غير شجرة، ولا نفع من شجرة لا تثمر

العلم يصدر من عالم يتميّز بكفايات، وعنده تحصيل ومتابعة تؤهله للاجتهد وتجعله جديراً لنيل درجة العلمانية والفقهاء القميص يدلّ على القسيس قول الطليان

قضية عادلة وقعت بين محام فاشل

الوسطية لا تعني البقاء في الوسط بين أمرين، بل تعني الاعتدال، وعندما يشتدّ
ساعد المعتدلين ينتقي وجود الجامدين والجاحدين

الوسطية اتباع سنن الله

الوسطية هي الثقة في النفس، والحثّ على طلب العلم، والجهاد بالمال والنفس
وهذه من أسباب الوصول إلى المكان اللائق

الوسطية تعني التوحيد والعلاقة المباشرة بين الخالق والمخلوق من دون
وساطة، ودون وساطة رجال الدين بالمعنى الكهنوتي

ومن الضروري دراسة أسباب التخلف لمعرفة عنصر الداء، والعمل على طرح
أسئلة الواقع، والسعي لإيجاد العلاقة بين كل الأطراف

المقصد من هذا النهوض من الكبوة، وبعدها صناعة التقدّم الحضاري، وصولاً
إلى موقع الصدارة بين الأمم

المشترك الإنساني هو الإقرار بالتنوّع والتعددية وقبول الآخر المخالف في
عقيدته أو أفكاره لأنّ الناس ليسوا سواء، والتنوّع ليس خياراً بل هو مشيئة إلهية

هو الاختلاف الرباني لا يقود إلى التنازع

ليكون الانفتاح منهاجاً وقبول الآخر ضمن ضوابط طريقاً إلى علاقات مستقرّة

كلّ ذلك يؤسّس لروابط إيجابية

صناعة النهوض المعاصر تحتاج إلى تضافر الجهود، لا العودة في كلّ مرّة إلى

أسئلة الهوية والبحث في العرق الصافي

يحتاج النهوض إلى الاختصاص والتعلّق المعرفي وفق مناهج سليمة، على أن

يتوافق ذلك تخطيط يتوخّى الدقّة والموضوعيّة، ويستفيد من الخبرات الماضية

في العامّ العاشر من الهجرة يستقبل رسول الله وفد مسيحي نجران في مسجده
ويسمح لهم أن يصلوا متجهين إلى المشرق في مسجده وبحضوره

كما قال ويليام جيمس ديورانت 1981م المؤرّخ الأمريكي "لقد ظلّ الإسلام
خمسَ قرون من عام 700م إلى 1200م يتزعم العالم كلّ في القوّة والنظام وبسطة
الملك، وجميل الطباع والأخلاق وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني
الرحيم، والتسامح الديني، والآداب، والبحث العلمي والعلوم والطبّ والفلسفة وفي
العمارة"¹

لمَ لا نبذل الجهد في جمع الشمل، ولمَ لا نفرّع الوسع لإصلاح ما فسد من ذات
البيّن، لمَ لا نأتي على الطقة لتقوية النفس

الهويّة صفة انمازية تقوم على مبدأ ثابت، وفي ذات الوقت رابطة بين وحدات
الذات المنتمية للمجتمع في ثباته وتغيّره

فالهوية ليس في التفكير فيما لم يفكر فيه أحد من قبل، ولكن في تأمل أشياء لم
يتأملها الآخرون، رغم أنها توجد أمام أعين الجميع

في سويسرا ثلاثة أقسام من الأقاليم: القسم الألماني واليطلياني والفرنسي، وكلّ
قسم محافظ على خصوصياته ولغته وقوانينه ومنازعه، مع أنّهم متحدون في
مصالحهم السياسيّة وهو يعيشون في بلد واحد وضيّق.

¹ - قصّة الحضارة، تر: محمد بدران. تونس: 1988، المجلّد 4، الجزء 2، ص 382.

محمد بن العابد سماتي الجلالي

عالم ومعلم

— **الديباجة:** أيها الجمع الكريم، قبل شهر كان المجلس الأعلى للغة العربيّة حاضراً في ملتقى دولي موسوم (قامات خالدة، وأقلام واعدة، مرفوعة لعثمان لوصيف). باركنا المحفل الذي أقامته بلديةّ الدوسن، وعشنا أيام الشّعْر تحت الخيمة الأمتن. وتجدوننا اليوم في أولاد جلال الأصالة والحضارة في بلاد الزيبان، أولاد جلال نجد فيها التّقافة والإبداع يتجانسان. أولاد جلال نراها اليوم تحتضن ملتقى سماتي الجلالي، ابن هذه البلدة الغالي، ورائد الأمتة بالتّقاني، فأنعّم بكم يا إخواني!

تشخّ المصادر عن المعلومات، وتضيق الكلمات؛ وأنا أبحث عن هذه الشّخصيّة الوطنيّة المغمورة في ثقافتنا، والتي لم نفها حقّها، بل لم ننزلها منزلتها الأحق بها وبقيت في التّقافة الشّفاهيّة التي بدأ ينقرض ناقلوها، فمن يعرف محمد بن العابد سماتي عند الجيل الجديد؟ أطرحه على نفسي وأقول: غابت عنّا هذه الكنوز، وعلينا الآن اصطياد اللآلئ قبل فوات الأوان، ما دام الخلان يقترنان.

أيها الجمع الكريم، ما جيئكم لأحدثكم عن نشاط العالم المجاهد المرّي محمد بن العابد سماتي الجلالي، بقدر ما أريد الحديث عن هذا الفعل التّقافيّ الذي تقومون به، أخصّ السلطات والباحثين والحضور، والمشجّعين، وراكم تحييون تراثنا، إن لم أقلّ تبعثون ما كان في طيّ النسيان، وهذا فعل نبيل أيّها النبلاء، فالذين فكّروا في هذه الشّخصيّة الباديسيّة كبار في أفكارهم، عظماء في مستقبلهم، فأنعّم بكم أيّها النبلاء الكبار العظماء! وإذا أتينا إلى استكناه هذه الشّخصيّة يمكن استخلاص ذلك في النقاط التّاليّة:

♥ — أقيت الكلمة في المعهد الوطني المتخصّص سماتي بوزيد، بأولاد جلال، بمناسبة ملتقى (امتدادات جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين الوطنيّة والتّقافيّة) بتاريخ: 1-2 فبراير، 2019.

1- العالم المرَبِّي: بدأت مسيرة الشَّيخ سماتي في التَّربيَّة، ونعمَ المهنة؛ ومع صاحب: الجزائر ووطننا، والعربيَّة لغتنا، والإسلام ديننا، بخِ بخِ من تجارة رابحة تجارة الاستثمار في الرأسمال البشريّ وفي تربيَّة العقول، وفي التَّوجيه إلى الفلاح والصَّلاح. ينخرط الشَّيخ في الواجب التَّربويّ، وينغمس في النَّهضة الأدبيَّة بكامل منتوجه، ويكون له شرف أن يكتب عنه البشير الإبراهيميّ قائلاً: "الأستاذ محمد بن العابد من قدماء تلامذة الأستاذ بن باديس، ومن بواكر النَّهضة الأدبيَّة. أديب مُشرفٌ على الكمال، كاتبٌ جزلُ الأسلوب، متينُ التَّراكيب، وفيُّ للقواعد المقرَّرة مشرقُ الديباجة، سلسُ المعاني، وصافٌ لخفايا النفوس ومساوي الاجتماع، شاعرٌ رصينُ الشَّعر على إقلاله منه، باشر تعليم النِّشاء الصِّغار من سنين، فحذق أساليبه وتمرَّسَ به، فاكتسب الدُّؤب والصِّبر والجلد، وله في تربية الصِّغار وتحبيب العلم إلى نفوسهم طرائق نفسية هو فيها نسيج وحده، وهو الآن من الأعوان المعتمدين للشَّيخ ابن باديس على التَّعليم.

2- محمد بن العابد مع الجهاد الأصغر: كان ذلك بنضاله في الجبال، ويقبض عليه، ويودع السِّجن، ويقدم للمحاكمة ويُسأل: لماذا تركت التَّعليم والتَّربية والأدب وحملت السِّلاح، ولحقت بالمجرمين؟ وأنت العالمُ الأديب؟ ويجيب: لأنِّي وجدتُ كلَّ ذلك لا يجدي معكم نفعاً، فالجهاد هو سبيل إخراجكم من أرضنا، وسنمضي في طردكم، ونعمل بحول الله وبقوة المجاهدين أن تعود بلدنا إلى أهلها فأنتم الغرباء! وحُكم عليه بعشر سنوات سجنًا، ولقي العذابَ الأليمَ من العدو اللئيم.

3- محمد بن العابد مع الجهاد الأكبر: لقد أوقف حياته كلها من أجل التَّربيَّة استكمالاً للنشاط الإصلاحيّ الذي خاضه وصحبه في أربعينيات قرنه. ويقف أمام السُّبورة معلماً شارحاً للدروس ومقومًا ومكوّنًا، ومديرًا ومشرفًا لرسالة التَّربيَّة التي تربَّى عليها بين عائلته التي كانت له نموذجاً في الخلق الكريم. وقد أكسبته مهنة

التّعليم شرف الطّاهرين ولم يكن من المسخّطين، فهو محافظ باديسيّ، ولم يكن في الطريق الإبليسيّ.

4- محمد بن العابد المبدع: لا يمكن أن آتي على إبداع المبدع، بقدر ما تعود المسألة إلى البحتة في هذا المجال. ولكن ما يعرف عن (العابد سماتي) أنّه أديب ثائر في الجهاد الأصغر بكتاباتة في المنتقد وفي الشّهاب والبصائر، إضافة إلى ما كان يبده من قصص رمزيّة من مثل: السّعادة البتراء/ الصّائد في الفخّ. بله الحديث عن تلك المسرحيات التّربويّة من مثل: مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار، دون أن ننسى تلك الأشعار التي يدبّجها للصّغار والكبار حول حبّ الوطن، وضرورة الدّفاع عنه. وما كان يكتبه في كتبه القليلة من مثل: تقويم الأخلاق/ الأناشيد الوطنيّة لأبناء وبنات المدارس الجزائريّة. مع ما تحمله هذه الأناشيد من أفكار التّربيّة والتّحليّ بالأخلاق الحسنة، وحبّ الوطن.

ربّما يكون صاحبنا (سي سماتي) الذي نحتفي به اليوم غير معروف لقلّة منتوجه، إلاّ أنّه من قناديل المعرفة في الشّعر التّعليميّ والنّزعة الوطنيّة والخلقيّة والعلميّة، وكان يجتهد كثيراً في تجسيد أناشيد الأطفال بشكل تعليميّ تبسيطيّ محبّب إلى النّاشئة، وبطريقة جذّابة سهلة الحفظ وبذلك خلّد نفسه بتلك الأناشيد المحفوظة في نفوس تلاميذه، وافتخروا يا ساكنة أولاد جلال بهذه المنارة المشعّة، وبمنارة الجزائر عامّة. ويكفي أن نقرأ دراسات تعدّه مؤسساً للقصة القصيرة في الجزائر وكتب عنه البشير الإبراهيمي، وعبد المالك مرتاض، ولا يزال يُذكر بخير في وطنه الكبير، وفي وطنه الصّغير نقيم له بلدية أولاد جلال هذا المحفل لهو جدير بوسام اللغة العربيّة والتّربيّة والمعلّم، فأنعّم به من عالم ومعلّم غيور!

5- عالم ومعلّم: ما أجمل أن تكون عالماً، وتموت معلّماً، فدمّ الشّهداء بمدام العلماء، وسماتي منهم؛ عالم في الكتابة التي كان يُحبرها بدواة الأنثاء والرويّة ويدفع بالقلم والسّبورة والطّبشور إلى حبك لآلئ العربيّة؛ لتجود له بما تحمله من

تعابير سبك القافية، وتدبيج النثر بزينة الحروف المضبوطة التي تحاكي العقول والأفئدة معاً، فنراه لا يكثر من هذا، ولا يقلل من ذلك، فكل كلام له المحل الأوفر له والعبرة أين يصلح هذا، وأين يسبق ذلك، وأرى فيه علامات العالم التربويّ المتفوق بمسيم: العمل بما تعلم/ نفع الناس/ الصبر على الأذى/ الزهد في الدنيا/ حسن الخلق/ علو الهمة في التأليف/ الاجتهاد في طلب الحق/ اجتناب الشاذ من الأقوال/ الرسوخ العلمي بالغوص على الحقائق/ معرفة المقاصد والتفنن لأسرار الشريعة/ نيل التقليد/ معرفة واقعه وعصره وما يدور في محيطه ويعيش معه. وكل هذا توفرت في هذه الشخصية التي فاح منها عطر الفطرة، فثبتت ونبتت، وصبر وظفر، فهو لم يرث الكرامة، بل صنعها بنفسه، وجدير باستحقاق كل التكريم.

إخواني، أصدقكم القول بأنني لا أملك الوسائل التي تجعلني أعلق النياشين على صدر سماتي لكني أملك ما كان يتخذ سلاحاً في الحياة، وهو التربية، وكأني به يقول: التربية تغير العالم وتغير الأشخاص الذين يؤثرون في العالم، ولهذا يربط حياته بالأهداف لا بالأشخاص، ويقول للأزمة التي عاشها: اشتدي أزمة تنفجعي. لقد استثمر حياته في التربية، وقال: أردت العيش دائماً وأنا رمس في القبر، فمع المحبرة إلى المقبرة، فعلي أن أزرع الأشخاص، وأخلد صحتي الذي يقول: "وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا لنعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا العزم على المقاومة المشروعة، عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا". وهكذا نراه لا يحمل عصا سحرية، لكنه التمس أسباب النهوض، وكان في كل مرة يعطي ويبقى اليد التي تعطي ولو يجحد لبعض الحين، وبقياً على العهد ولو طالت المسافات، وكأني به يقول:

ما قيمة الناس إلا في مبادئهم لا المال يبقى ولا الأقباب والرتب

بالفعل الإنسان بأخلاقه ليس بمظهره، فها هو سماتي يرحل عالماً معلماً، يرحل بصوت هادئ في هذه البلدة التي تتذكره اليوم، وتقول له: لقد أكسبتنا السمعة والرجلة والفحولة يا ابننا، ونحن على العهد نبقي، سنكون مثل الشجرة نغيّر الأوراق، ولكننا لا نغيّر الجذور، نبقي نتداول أناشيدك ونسترشد بأفكارك، فأنت معنا دائماً وأبداً.

— الخاتمة: أيها الفاعلون في هذا المحفل، لقد جمعتم شتات من ترامت به المرامي، وتهادت به العوام، ويستحق كل التّكريم، لما قام به من التّقويم، في تربيّة الجيل بحسن التّدبير، وما رسّخه من جميل التّسيير، وكان في أول الصّوف، ومثّل الأمر بالوقوف. فبوركت خطواتكم أيها الفاعلون، وأنتم للعلم راسخون، ولقد سهّل الله لكم المخرج، وقرب لكم الفرّج، وبفعلكم هذا وضعتم الأقدام على الطّريق ورسّختم الفعل الأنيق، فأنتم أهل الكرامات، والفضائل العاليات لا أخلى الله مكانكم في الباقيات، واصلوا الدرب وأنتم الأعلون، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

سيحاسبنا الشهداء ♥

— **الديباجة:** رأيت أن أبدأ كلمتي في هذا المقام في افتتاح فعاليات الأسبوع الثقافي في طبعته الرابعة؛ المنظم من قبل المنظمة الوطنية للمحافظة على الذاكرة وتبليغ رسالة الشهداء، بهذا التصدير، بسؤال السلف للخلف، أيها الخلف هل حافظتم على فعل السلف؟ فبماذا نجيب عن سؤال تتداعى فيه أسئلة الذاكرة الجماعية، أسئلة التشبث بالهوية والتاريخ الوطني، وكل ما يليق بالنسق الجمعي وبكل تلك التضحيات التي أرخت لمنظومة من النضال الوطني التي كانت مرجعية عالمية في البذل والعطاء. أسئلة التحولات الاجتماعية التي أفرزتها العولمة، ضمن قياس الحاضر على الحاضر، والبعد كل البعد عن قياس الحاضر على الماضي. ولهذا وسمت كلمتي هذه بعنوان (سيحاسبنا الشهداء) وتعود بنا الذكرى إلى المخاض الوطني، في بوتقة الإجماع الشعبي، والذي أفرز ثورة نوفمبر العظيمة وبشخصياتها الكبيرة، والتي ضحّت بشبابها على مذبح الحرية المجيدة، لننعم بما نحن عليه اليوم، من بركات أصيلة. سيحاسبنا الشهداء، هل واصلنا دربهم المنير وكنا بهم نستنير، وهل جعلناهم مرجعية في التوير.

أيها الحضور، أراني في هذا المقام، أمام موضوع حول شخصيات تاريخية وطنية تضيء درب الأجيال في المعرفة والتنمية، موضوع كبير بما له من دُرْبَة وغاية، فدعوني أشعر قليلاً؛ لأقول: إن بلادنا وطن برائحة الشهداء، ودمهم لا يزال في القمم السماء، فكيف لا يغار منه الياسمين، وهو يشم رائحة الماضين الذين كانوا من الممجدين، باعوا أرواحهم بالرخص، حباً في البلد النفيس، وإنّ وطننا اليوم ينحني إجلالاً لهم، فهم فناديل تغيب الشمس خجلاً منهم. وأنا لا أملك

♥ — أقيمت الكلمة في حفل افتتاح الأسبوع الثقافي التاريخي في طبعته الرابعة. الجزائر في سينما عمر الخيام، يوم 7 فبراير 2019، بدعوة من المنظمة الوطنية للمحافظة على الذاكرة وتبليغ رسالة الشهداء.

في لغتي ما يمكن أن أصف شهيد الإيثار، وهو أيقونة تثار. شمعة احترقت من أجل الآخرين، ودم سكب من أجل الصّاعدين، ليعبرَ المارّون إلى الحرّية، والتي لا تعلوها إلاّ التّقية. والشّهد علينا تخليد ذكراه، والاعتراف بتقواه، وواجب كلّ مواطن تمام فضلاه، وكان الأجدُر بنا أن نجعل من كلّ بطل قدوةً، ومن كلّ معركة فيلماً، ومن كلّ كفاح سجلاً، ومن كلّ أبطالنا نُصباً. إخواني الشّهداء لن ننساكم أبداً سواصل الدّرب أمداً، وهكذا كان الأوّلون، وهكذا يكون الماجدون، وتستمرّ الحياة مع الأجيال، في نقل العبر في مسيرة النّزال، وصولاً لمشوار النّوال.

إخواني: يدخل القاعة الآن الشّهداء، فرفعوا هاماتكم بإباء، وردّدوا هذا النّشيد الغناء: **إخواني لا تنسوا شهداءكم، من ضحوا في هؤامكم**، إنّنا شعب جسور بافتخار ملأ الدنيا بانبهار، ملايين الشّهداء أصبحوا قبوراً، فرفعوا حجرات القبور؛ لتروا العُجب من فعل الخراب. ونقول اليوم: لا تخافوا صار للبلد عشاقّ وقيادةً، صار للوطن أشبالٌ وسيادةً، أيّها الشّهداء الحاضرون، إنّه يوم ردّ الاعتبار، إنّه يوم الفخار، وأنتم شعلة المنار. إخواني سيحاسبنا الشّهداء، وترى شباباً أبرياء، فهل يكونون كما أرادوا أن يكونوا، وهل تمّت لملمة حمل التّاريخ كما أرادوا، ويكرّرون قولة: أمة بلا ذاكرة، أمة عاجزة.

سيعود مصطفى بن بولعيد، من التّاريخ ليس بالبعيد، ويزور مدارسنا، وينظر في كتب تاريخنا، فهل يجد الصّورة النّاصعة لفعل الشّهد، ويسمع النّشيد الوطنيّ المجيد، وينظر في الموروث الماديّ واللاماديّ، ويتفكّر كلّ ما هو ليس من العاديّ ويقول: هل صنتم الأمانة، وهل رسّختم المهمّة. وسيعود أعميروش، ويسأل المنظّمات، كيف حالّ الجماعات، وماذا قدّمت من رسالة التّبليغ، لفعلنا البليغ أنقلتموه إلى الخلف بروية، أم وقع اللبس في تعداد ناقلها بالأقلية أحافظتم على شيم الشّهامة، أم جعلتم همكم ضمان المكانة. وسيعود العربي بن أمهيدي ويقول: كنّا المقاومة، وكنّا رجالاً المناسبة، رحلنا وتركنا لكم الأمانة، فأين الوديعه؟ أين المؤسسات وردّ الجميل بالصالحات، أين وأين وأين المهام العاليات؟ أين أنتم من

فعل الاستمراريّة، ومن تجديد العهود الماضيّة، ولا نريد أن تعلنوها قطيعة، نريدكم نقل الأمانة بكلّ وسيلة؛ ليقع فعلُ الأجداد، بفعل الأنداد، وعلى العهد يكون الامتداد. سيتجمهر الشهداء تباعاً، ويسألوننا جماعاً، أيّها الجيلُ الجديد، أين الاعترافُ بردّ الجميل؟ وهنا نحتاج إلى شجاعة في الإجابة؛ لأنّ نصفَ الإجابة ليست إجابةً وسنبصرُ بأننا قد قصّرنا في سبر أغوار الذّاكرة، بمفهوم النّاكرة. ويبقى الشّبابُ بين أمرين: ماضي الشهداء في حلّين: لأخذ العبرة، وكذا لكسب الخبرة، والعبرة في ذلك أن نعتبر، وأن تدوم الأحوالُ وتستمرّ، والعمل بالافتداء بالكبر؛ وبمن قدّموا لنا عملاً معتبراً.

ويختفي الشهداء، ويتركون المجال للمجتمع المدنيّ، ويحصل النقاش في أسباب التّدنيّ، وكلّ يرمي المسألة في وادٍ، وتبقى الذّاكرة دون رادٍ، لكنّها لا تفارق الأذهان، وهي تسوق الأوطان كيف الحال: أمة بلا ذاكرة، أمة بلا مستقبل، فهل نكون؟ لن نكون. لقد كان السّلف، وسنكون نحن الخلف، اختفوا أيّها الشّهداء واشتديّ أزمة تنفّجي، وهنا يقول التّاريخ: أنتم بحاجة إلى تصرّيح، في تناول الموضوع الصّريح، ودون تلميح، فالشّباب المعاصر لم يعد يقبل بأنصاف الحلول وهو يعيش أسئلة الثّورة دون غلول، أسئلة قوبلت بالمواجهة، وحصل لها الانتصار بالمغالبة. وحتى لا ننسى سيضحيّ شبابنا من أجل الكرامة، ومواصلة فعل السّلف بأنافة وسيذكّر الخلفُ أمانة الذين استشهدوا بكرامة، ورسالة الشّهداء أمانة في الأعناق، ومن الضروريّ تبليغها للأفاق، إخواني لا تنسوا شهداءكم.

أيّها الشّهيد، نقيم لك عرسك المجيد، وروحك لا تزال تستزيد، وتبني فينا ذكراك العنيد فهي باقية في القلوب، يتناقل سيرتها رفاقُ الدروب، وكلّ أبناء الوطن، بشهادة زكّاهم أهل الدّفن. فيا له من شرفٍ ليس بعده شرف، خصّ الله به الشّهيدَ بطرف، ويعجز قلبي موافاة ما استرخصت، وتضحياتك أكبر ممّا استقبلتَ فشتان بين أن يكون المُقتدى عالمًا، وبين أن يكون جاهلاً! وبونّ شاسع بين أن

يكون المُقتدى شهيداً، وبين أن يكون مُتهتكاً! وعلى الشَّباب أن يحسن اختيار قدوته ليكون نبراساً لمثله، والشَّهيد نموذج للفداء، وهو تاريخ للإباء.

— الخاتمة: أختم لأقول: أيها الشَّهيد البطل، لا أوفيك حقك مهما وصفتُ أو مدحتُ، وأعلم أن الشَّهداء لا يُرثون؛ لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ولكنَّ الشَّهداء يتناسلون. فيا شهيدنا البطل أنت ممن اخترت للجلل فالشَّهادة في سبيل الوطن ليست مصيراً سيئاً، ولا تكون أنت منسياً، بل هي خلود في موت رائع ووراء كلِّ شهيد وطنٍ بارع. هذه عظمة الشَّهيد، وهذه بطولته تميد ويكفيه أن يكون شهيداً فسلاماً على الشَّهداء، وعلى الأحرار والعظماء، وعلى الذين بقوا من الأوفياء، وعلى الشَّباب التابعين النجباء. ويا أيها الشَّباب المعاصر، يا من ينقلون رسالة الشَّهيد المكابر، احفظوا درب أولئك الشَّهداء، وسوف تجتازون المراحل بإباء، فتصبحون باحثين علماء أساتذة أجلاء، وأطباء أكفيا، وتقومون بمهام الأقياء، وتديرون المصانع بأناء، وتكونون من الأتقياء. ولكن مهما صرتم وبلغتم، ومهما كنتم وكبرتم، لا تنسوا ذات المسار؛ طريق الشَّهداء باختيار، وهذا ما سيحفظ لنا حسن الإجابة، ويحفظ لنا حسن الدَّراية، بالإجابة عن سؤال من هم الآن في القبور، وهم يرون النور، هل كنتم خير خلفٍ لخير سلفٍ؟ سنجيب بامتياز، عن تبليغ رسالتهم دون استفزاز، وأننا بلغنا الأمانة، وهي تتال المهابة، فقرِّوا عينا في الرضوان، يا أهل الرحمان، فلا ترون الخذلان، من أولادكم النجبان، فنحن على العهد باقون وفي تبليغ الرِّسالة عاملون، وسترون ذلك بالبرهان، ودون هوان.

الأخطاء اللغوية في النصوص العلمية: أشكالها، مصادرها واستراتيجيات تجنبها[♥]

— **الدِّباجة:** تكمن أهمية هذا الموضوع في معالجة ظاهرة الخطأ في النصوص العلمية التي لا تقبل إلا الصواب اللغوي، وما هو من ظاهر الكلام. فهي تبعد عن التأويل أو المعاني المجازية وما يتعلّق بالجوازات اللغوية التي تقبلها العلوم الإنسانية، أو ما له تدخل العاطفة والخيال. ومن هنا، فإنّ الخطأ في المادة العلمية تؤدّي إلى عدم وصول الرّسالة كاملة، بل أحياناً تؤدّي إلى ضرر كارثي، بله الحديث عن الخطأ في المصطلح، وما يقرب منه من تلك العمليات الذهنية التي لا تقبل إلا بما هو سطحيّ. ويضاف إلى هذا أنّ مسألة الحديث عن الأخطاء اللغوية في النصوص هو حديث عن حسن التبليغ، وعن المادة الوظيفية فقط، وعن التراتب العلميّ، وبخاصّة في الكتاب العلميّ المدرسيّ أو في الكتاب العلميّ الجامعيّ. فإذا ترسّخ الخطأ في المبنى يتجسّد في المعنى، ويظهر ذلك في سوء الفهم، وفي صعوبة الترجمة إلى لغة ثانية. كما تكمن أهمية هذا الموضوع في وقتنا الحاضر أنّ برمجيات ذكية أعدت في علاج الأخطاء، وفي الترجمة الآلية، وفي فنيّات الذكاء الصناعي، فإلى أيّ مدى يمكن الرّكون إليها لعلاج ظاهرة الأخطاء وهل يمكن التوثيق فيها وبها دون العودة إلى أمّات المصادر، وبخاصّة المعاجم اللغوية. ومن هنا نرى مؤسسات علمية كبرى تتحرّج من هذا الجانب فتوظّف المدقّق اللغويّ؛ لأنّ اللغة تحمل الحضارة والعادات والتقاليد لأية أمة، فلا يجب أن ينالها التحريف أو الخطأ الذي يؤدّي إلى التشويه، وبخاصّة ما يصدر عن جهاز مؤسساتي أو إعلاميّ محترم.

♥ — أعدت الكلمة لصالح فرقة (بطء تعلم اللغة لغير الناطقين بها) مخبر تعليمية اللغة والنصوص. جامعة يحيى فارس بالمدينة. أقيمت في الندوة الوطنية الأولى، حول الأخطاء اللغوية في النصوص العلمية، أشكالها، مصادرها واستراتيجيات تجنبها. بتاريخ 13 فبراير 2019.

وإنه من الثقافة والاحترام، بل من الحضارة أن يقع الاهتمام بمسألة محاربة الخطأ، وهو إحساس إنساني قومي حضاري، تضاعف الإحساس بقيمة الحفاظ على الهوية اللغوية، في ظل الحاجة إلى تعلم اللغة سليمة، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، وقد أصبحت اللغات وسيلة التعارف والتآلف وجسراً لتلاقح الأفكار عبر المناظرات والمطارحات الفكرية بشتى أنواعها ومختلف أساليبها. وإننا نرى الأخطاء المتكررة يقع فيها المعلم، يأخذها المتعلم كما هي وينقلها كذلك، ومن ثمّ تعمل وسائل الإعلام على نشرها؛ وهو أمر خطير يحتاج إلى وقفات علمية عبر مناهج تحليلية ودراسات واقعية لتقديم حلول فعّالة تجبر الكثير من الكسور الموجودة. وإنه لا يجب الركون في علاج هذه المسألة إلى رعاة الجهل الذين يسوقون اللغة على مجزرة الأخطاء بالمباهاة، ولا يبعثون من ورائها إلا الطعن في جمالها إلا بالمباهاة. وكل لغة لها أركانها وقواعدها ولا يتحقق التواصل الجيد إلا باحتذاء مناويلها كما ورثت عن السلف، وهكذا طبيعة اللغة التي فيها ما هو من الماضي، وما هو من الحاضر، ولكن الحاضر لا يخرج عن الموروث، ويحصل التقريب بين الثابت اللغوي (القواعد) التي لا يمكن خرقها، وبين ما هو من المتغير (الأساليب) وهي متغيرة حسب طبيعة المتلاعين وما يحيط بهم من متغيرات.

— أهمية الموضوع من أهمية اللغة: تبدو لي مسألة الاهتمام بمحاربة الأخطاء مهمة الجميع، وتدخل في باب التطوير اللغوي؛ وإنه ما ارتقت لغة ما بالأخطاء ولا ارتقت اللغة السوقية؛ لأنّ بها الهجنة، ولا حصل الإبداع إلا باللغة البليغة العلمية التي تضيف قيمة لفعل الخلف في اصطلاحاتهم وخدماتهم التي تنمو بفعل التواصل البيئي. ولهذا، نروم أن يتحقق هذا الفعل بالتواصل على مستوى حمل الجامعة لهذا الموضوع ليحصل التطوير والترقي، وليكون لنا موقع بين معالم اليوم في:

— جعل جامعاتنا معيارية: وهي جامعات راقية بفعل الإتيان والمهارات اللغوية

للغات أهلها.

— انتشار المجالات الوطنية عالمياً: لا بدّ من نظام نمطيّ مشترك ليكون لمجلّتنا الانتشار العالميّ، ويجمعها نظام المنطق اللغويّ لكلّ المجالات العالميّة مهما كانت لغاتها.

— العمل بنظام المجالات العالميّة في مسائل المنهجية والتوثيق كي لا تكون العربيّة ضحيةً لخلافات المجتهدين أو المُشرفين، وقد ضيّعنا الطلبة في خلافاتنا المنهجية.

— العمل بالنظام العولميّ في مجال بناء المنصّات والذّكاء الصنّاعيّ الذي يقبل كلّ اللغات الطبيعيّة.

— خوض ميدان التّقانة المعاصرة، والعيش ضمن وسائل التّواصل الاجتماعيّ بفرض خصوصيات اللغة العربيّة، وهذا حقّ تقبله كلّ اللغات، ويقبله المنطق الرياضيّ.

— إعطاء الاهتمام للنّصوص العلميّة التي يسهل إدراجها ضمن الوسم العالميّ لأنّ العلم ليس له لغة، كما أنّ الرياضيات ليس لها لغة إلاّ في رموزها، أو ما اصطُح عليها في لغة من اللغات لكنّ المنطق واحد بين كلّ لغات العالم.

ومن هنا، أشكر للمنظّمين مراميمهم الخاصّة بهذا اليوم الدراسيّ، كما تنصّ عليه بنيات المحاور المختارة بعناية، ونعلم أنّها مدروسة بغية استكناه أشكالها ومصادرها واستراتيجيات تجنّبها. وإنّها لبنية محورية مركزية في تطوير اللغة العربيّة التي نروم أن يحصل لها الرقيّ العلميّ عن طريق حسن استعمالها. وإنّ حضور المجلس الأعلى للغة العربيّة في هذا اليوم الدراسيّ الذي يأتيّ تثنياً لهذه الفعاليّة العلميّة؛ وهي الأولى وطنياً، ومن خلال هذا؛ يقدّم تصوّراً حول أهميّة التّحسيس بالاعتناء بصفاء اللغة العربيّة، وخلوها في بناء النصّ العلميّ من كلّ إسراف وإسفاف، وفي تقديم الخطاب العلميّ دون أخطاء. ومن خلالكم نروم تقديم استراتيجية دقيقة تقينا الشرّ المستتر في تلك الأخطاء الشائعة أو في الأخطاء غير الشائعة، وبكثرة الاستعمال تصبح شائعة؛ وهي التي تعمل على الإخلال بالنّظام

اللغويّ العامّ، ومن ثمّ تودّي إلى فساد اللغة وفساد اللغة من فساد الفهم، وفساد الفهم من سوء تبليغها، ومن سوء تبليغها؛ ضعف مبلّغها وضعف مبلّغها يعني ضعف اللغة.

زميلاتي زملائي، تعدّ الأخطاء اللغوية من أبرز مظاهر الضعف اللغويّ، ولا يجب الاستهانة بهذه المسألة، ولنتحرّك في الاتّجاهات التي تعمل على تشذيب كلّ ما يُخلّ بمنظومة حسن الأداء اللغويّ، ونعمل جميعنا على تشذيب الأخطاء، ولنبدأ بتقديم وصفات تعمل على ردم كلّ الفجوات المخلّة باللغة كمنظومة فكريّة سهلة بسيطة وحرصها التّبليغ، ونعمل على هذا التّراتب لتقديم أفكار في مسالك الأشكال والمصادر. ونبدأ بما يلي:

1- معنى النصّ العلميّ: هو نصّ يقوم بوظيفة تبليغ المعرفة؛ دون مبالغة ولا تفخيم، ولا يقبل الحشو أو تكرير التّعابير؛ ولا العبارات الدّائية، أو المصطلحات المبهمة؛ لأنّ النصّ محصّلة عمليات ذهنيّة معقّدة تعمل على الأخذ بالمتلقي بصورة واضحة لا احتمالات كثيرة، فهو نصّ قصديّ موجز يستهدف معنى دقيقاً. وجوهر النصّ العلميّ من الناحية اللغوية والمعرفية يكون بأسلوب سلس موجز؛ دون إهمال الاتّساق والانسجام. وإنّ الخطأ في النصّ العلميّ يودّي إلى التشويه واختلال المعنى، ويجعله سهلاً دون فهم ولا نتيجة، بل لا يقدّم معرفة إضافية. وإنّ جمال النصّ العلميّ المكتوب يكمن في خلوه من جميع الأخطاء مهما كانت أشكالها، وذلك ما يضمن وصول النصوص إلى القارئ بسلامة، وتأديّة وظيفة ذات مظهر جماليّ يشدّ القارئ إلى متابعة سطورهِ سَطراً سَطراً.

2- خصائص الأسلوب العلميّ: في العادة أنّ الأسلوب العلميّ له مواصفاته التي يمتاز بها وتتصّ الدراسات الحديثة على وضع نمطيّة بخصائص هذا الأسلوب في ما يلي:

1/2- الإيجاز ولا التّطويل ولا الحشو بين المعنى والمبنى، لتحقيق الخاصية التوازنيّة.

2/2- التعبير فيه مباشر لا مجال للصُّور البيانيّة ولا للعاطفة ولا للخيال.

2/3- البُعد عن موسيقى اللفظ أو المجازات البلاغيّة.

2/4- حسن العرض وتسلسل الأفكار بمنطق الرّياضيات.

2/5- الوضوح والدقّة وترتيب الأفكار، وسهولة الوصول إلى عقل القارئ.

2/6- استخدام الرّسوم والبيانات والإحصائيات والمصطلحات العلميّة.

وإذا تأملنا هذه الخصوصيات، نرى أنّ الأسلوب العلميّ يستعمل ذات اللغة التي يستعملها العامّة، إلّا أنّ هناك خاصيّة في الأسلوب العلميّ تجعله يعيش التّفرد في التّمييز بينه وبين الأسلوب الأدبيّ؛ ولكنهما يلتقيان في خاصيّة استخدام اللغة. واللغة لها منطق رياضيّ، ومنطق أدبيّ.

3- الأخطاء اللغوية في النصوص العلميّة قاتلة: يجب التذكير والتّركيز على

أنّ الخطأ اللغويّ في أيّة منظومة فكريّة غير مقبولة، ولكن الخطأ في النصوص العلميّة أشدّ ضرراً؛ لأنّها تسبّب مضايقات جسيمة قد تؤدّي إلى العواقب الوخيمة التي تكون عكس المطلوب. ويمكن التّمثيل لذلك بجملة من الأخطاء التي تكون عكس المطلوب.

1/3- في ميدان الأدوية وصناعتها نعرف أنّ أسماءها لاتينيّة؛ فالاسم المشترك

واحد وتأتي اللواحق/ الدواخل/ الزوائد هي التي تعمل على تغيير اسم الدواء فمجرّد خطأ في وضع هذه اللواحق والزوائد والدواخل في مكانها يكون الخلل الذي يؤدّي إلى الموت.

2/3- الطيران المدنيّ: يعمل بنظام اللغة الإنجليزيّة، ومجرّد التّرجمة الخاطئة

يؤدّي إلى خلل في توجيه الطائرة، ويؤدّي إلى كوارث كبرى، ونعلم أنّ ألف (1000) طائرة معلّقة في الجوّ في كلّ لحظة، وعلى متن كلّ طائرة مئات من البشر. فسوء المعنى/ التّرجمة يحصل ما يؤدّي إلى موت الرّكاب.

3/3- التدفئة المركزية في كثير من العواصم الكبرى، وتعمل بمنظومة لغوية تشفيرية فخطأ بسيط يحصل في توقف التدفئة، وتكون العاقبة على غير المتوقع وقس على ذلك مسألة النقل الحضري.

4/3- روايات غير دقيقة تقول بأن بعض الكوارث حصلت بسبب اللغة التواصلية بين المرسل والمستقبل؛ حيث لا توجد شفرات واحدة، وكل له شفرة خاصة من لغته وثقافته، فما هو مباح في لغة ليس بالإجبار أن يكون في لغة أخرى، فكل لغة لها مفاهيم وثقافة ومحظورات لا توجد بالضرورة في كل اللغات. وهنا يأتي دور دروس الترجمة التي يجب أن تقف عند علاج هذه الأمور، وهي من الفوارق بين اللغات.

5/3- أخطاء الترجمة: وهي في العادة أخطاء فردية تعود إلى المترجم الذي لا يمتلك ثقافة لغة ولا يفرق بين الفروق الدقيقة للغة، ولا بين ما هو مقبول في الأدب، وما ليس مقبولاً في المادة العلمية، وما هو من المشترك اللفظي... فحتى في العربية الأدبية نجد هذه الفروق لا ينتبه إليها إلا الحضيف في تلك اللغة؛ ألم تكن كلمة (ثب) سبباً في موت من رمى نفسه من أعلى الشرفة لأنها في لغته تعني (ارم نفسك) وكانت القاصد منها (اثبت حيث أنت)...

4- الخطأ اللغوي بين اللبس وتغييب الشفرات: يحدث الخطأ اللغوي أحياناً من علامات اللبس وعدم التركيز، ويمكن أن نلاحظ ذلك في عدم نشدان الدقة المعجمية المطلوبة من مثل عدم إدراك الفوارق اللغوية، أو المعاني الدلالية/ المجازية في المجتمعات اللغوية، أو المعاني العرفية أو الاستعمال العفوي، أو الثقافة اللغوية التي تحملها اللغة... ويمكن التمثيل لذلك بجملة من تلك الأخطاء:

1/4- القبول بالتترادف اللغوي: وفي الحقيقة أنّ أية لغة تخلو من الترادف ولكن المستعمل للغة أحياناً لا يدرك الفروق اللغوية، فلا يفرق بين: جاء/ وصل/ أتى/ ولّى... وهذا الكلام تزخر به اللغة العربية نظراً لشساعتها وقوتها وديناميورها. ونعلم أنّ الترادف لا يوجد في العربية رغم وجود المشترك اللفظي، وهناك فروق

دقيقة لا ندركها نتيجة طغيان مفردة واحدة، وما يأتي عليها نقول هي ذاتها. ونضرب مثلاً لأسماء المطر، وكل كلمة لها مكانها وموقعها ودلالاتها: الهتان = المطر المعتدل. الشؤبوب = المطر المتدافع بشدة. الغدق = المطر الغزير. الودق = المطر المستمر. اليعلول = مطر متتابع يتوقف ثم يعود. الواجل = المطر ضخّم القطرة. الوكي = مطر متوال لا يتوقف. الحيا = ما يحيي الأرض بالنبت... وهنا في الأسلوب العلمي لا يقبل إلا اسماً واحداً مناسباً وقد يقبل أو يقع التبادل بين بعضها في الأسلوب الأدبي.

2/4- تعيب علامات الوقف: نلاحظ أننا إذا كتبنا (نكون الأفضل) تقرأ قراءات، ومجرد وضع علامة الشدة يتغير المعنى؛ وتقرأ قراءة مطلوبة لأن الشدة عملت على قراءة واحدة لا تأويل ولا جواز (نكون الأفضل). وكما يقول العرب فإنّ التفريق بين الأمة والأمة هي الشدة كما أنّ الشدة تعمل على التمييز بين ما هو من المكرر؛ ويعني الجمال وخاصية الفعل الثلاثي وبين ما هو من التأكيد في اللسان العربي. وإن أصل الكلمة (الجزر) ثلاثية فلا توجد كلمات: دم - عم - خل - فم... بل توجد كلمات: دم - عم - خل - فم... وإذا نظرنا في المسألة أكثر من هذا علينا تحقيق مبدأ العالمية في علامات النقط فقط. فنحن نتساهل فيها ونقول إنها شكلية فهل يمكن أن يقبل معلّم الفرنسيّة، ولا يقبل أن تكتب الاسم المركّب دون مطّة/مدة مثلاً: Tizi Ouzou، وسوف يقول عدّ إلى مقاعد الدراسة لدراسة القواعد الأساس في الكتابة وكتب الصواب: Tizi-Ouzou كما لا يقبل أن تكتب Rendez vous دون مدة، لأنّ المدة هي الجامعة لمعنى (الموعد) وعدم وجودها يؤدّي إلى معنى مغاير... وقسّ على ذلك بداية الفقرة بترك الفراغ، والوقوف على النقط، ووضع علامة الاستفهام في السؤال... وهذه من الملاحظات التي استنتجتها وأنا أفرّق بين مدرس العربيّة ومدرس الفرنسيّة، وهذا الأخير يحرص على أن تتال علامات الوقف مكانها، عكس مدرس العربيّة لا يضعها أصلاً.

3/4- عدم سبر أغوار اللفظة من خلال السياق العام من مثل: الأمراض الخُفِيَّة/ الأمراض الخُفِيَّة. يومُ القَرِّ= اليوم الذي يلي عيد النحر/ يومُ القَرِّ= البرد. كلمة (الجَنَّة/ الجَنَّة/ الجِنَّة، وكلّ كلمة لها مدلول. مثلاً كلمة (الخال) ومعانيها: لُمع الخال= البرق/ جادها الخال= الغيث/ رقص الخال= خاطر/ حلّ به الخال= الفارس.

5- التّعريف على أشكال/ مجالات الأخطاء: كلّ النصوص يمكن أن تعلقُ بها الأخطاء، وهي غير مقبولة، ولكن لا بدّ من تشخيصها لمعرفة كيفية العلاج. والأخطاء متنوّعة وكثيرة ويمكن الإشارة إلى: أخطاء في الإملاء+ الصّرف+ النّحو+ علامات النّقط+ بناء العبارات والجمل+ تغيير الحركة المؤدّي لتغيير وضع الألفاظ في غير مواضعها+ استخدام اللهجة العاميّة بدلاً من الفصحى+ أخطاء الطّباعة... وهذه من الأشياء التي لا يمكن التّفصيل فيها، ولكن الذي يهمّنا من هذا هو عدم الاستهانة بالخطأ مهما كان نوعه، والعهد في هذا المجال أن يكون التّعاضد البينيّ بين المدرسين في القاعدة لبناء منظومة منهجيّة يكون التلميذ مسلحاً بآليات إدراك الخطأ أو عدم الوقوع فيه، وعند ذلك لا يقع الخوف في المراحل اللاحقة.

6- التّعريف على أهمّ الأخطاء التي يقع فيها الطّلاب: وهذا ما يساعدنا في توجيه الطّلاب إلى تعميق إتقان استعمال اللغة لحلّ كلّ المضايقات اللغويّة التي تعمل على سوء التّبليغ، أو ربّما الرّسوب. وعندما نتعرّف على أهمّ الأخطاء نكون قد وصلنا إلى نصف الحلّ لمشكلة الأخطاء. ويبدو لي بأنّ الأستاذ الحصيف هو من يتّابع طلابه في الأداء الشّافهيّ بالتّصحيح الفوريّ، وكذا في المكتوب، ومن ثمّ يقوم بالتّصحيح المباشر العلنيّ، مع حسن المرافقة في التّوجيه بالدّعوة إلى العودة إلى المصادر والشّواهد، وإلى الكلام العلميّ أو الأدبيّ المؤيّد لحسن العبارة. ويمكن أن يكون ذلك على الصّعد التّاليّة:

- المرافقة في الحثّ على قراءة أكثر من كتاب كلّ شهر؛
- مطالبته بالتّأخيص الكتابي؛
- مرافقته في الأداء الشفاهي أثناء المرافعات العلميّة؛
- مراجعة لغويّة في المكتوب في منجزات الامتحانات؛
- تصحيح في منجزات أبحاث الماستر؛
- تقويم في منجزات أبحاث الدكتوراه.

ومن هنا، تقتضي الحكمة أحياناً العمل بالوعيّ اللغويّ الذي نقوم على زرعه في الطالب بتوضيح المعالم الكبرى في عدم تأجيل واجب اليوم إلى الغد، وكذلك على الطالب أن يكون له منهج كامل للحياة العلميّة في النّظام العلميّ، ومعرفة الواجبات التّربويّة لتفادي ظواهر القصور في الأداء اللغويّ، حتى لا يرجع التّقصير على الأستاذ؛ علماً أنّ الأستاذ من مصلحته أن يكون طالبه متوقفاً ومستعملاً فذلياً للغة.

7- التّعريف على مصادرها/ أسباب شيوع الأخطاء: هناك جوانب ظاهرة تؤدّي بنا إلى معرفة أسباب حدوث الخطأ من مثل: ضعف المعلّم + عدم الاعتزاز باللغة + قبول الرّكوع اللغويّ + ضعف المقرّونية + الثّنائيّة اللغويّة + المحيط العائليّ + عدم علاج الخطأ وقت ظهوره + قبول القياس على الخطأ + التّسامح اللغويّ + الرّضوخ للقول المشهور (الخطأ الشائع أفضل من الصّواب المهجور) + ضحالة النّصوص الأدبيّة المقدّمة + قياس الحاضر اللغويّ على الحاضر اللغويّ + غياب الفصاحة + التّساهل في التّرجمة + التّدخل اللغويّ + قبول الهجين اللغويّ + التّرجمة + عدم الحصافة في قراءة التّراث + نقص الحفظ للشّعْر وللمتون + عدم تدريس منطق اللغة + سوء توجيه لغة الإعلام + عدم استغلال استعمال الكلام الفصيح في الفنون الجميلة + عدم التّفريق بين الكتاب المدرسيّ الجامع للعلوم، والكتاب الجامعيّ المتخصّص + عدم تدريس العلوم باللغة الأمّ.

8- تقديم استراتيجية في محاربة الأخطاء اللغوية: لا توجد وصفاً دقيقة ولكن هناك أفكار استراتيجية عامة يمكن أن نجعلها بصيرة كل راغب في محاربة الأخطاء اللغوية؛ يعني معالجة ظاهرة الأخطاء؛ سواء في النصوص العلمية أم الأدبية، وكان علينا التركيز على ما يلي:

1/8- حسن استعمال علامات الوقف في محالها المناسبة: قد يبدو لبعضنا أن هذه العلامات من سقط اللغة، بالعكس، لو وقع الاهتمام بها في القاعدة بتعليم جيد لعلامات الوقف من المرحلة الابتدائية، لختت الأخطاء بشكل قوي. وإن المنظومات التربوية لدى الأمم الراقية تعلم مادة (علامات النقط/ Punctuation) من القاعدة باعتبارها تؤدي دلالة، وهي تتماز بأشكال عالمية توضع في مكانها المناسب، ولها غرض الاختصار، فمثلاً هذه الجملة (العفو مستحيل الإعدام) فوجد أن الفاصلة تشكل فارقاً في الفهم والتأويل، فإذا وضعناها كما يقال (العفو، مستحيل الإعدام) = العفو. وإذا وضعناها كما يلي (العفو مستحيل، الإعدام) = الإعدام.

2/8- ضرورة التدقيق اللغوي/ المراجعة: إنه من الضروري أن تكون مهارة مراجعة النصوص المكتوبة أو المنطوقة، وتصحيح ما فيها من أخطاء لغوية، سواء كانت تلك الأخطاء إملائية أم نحوية أم أسلوبية وفقاً للقواعد اللغوية الصحيحة. وذلك ما يضمن سلامة العبارات وجودة المحتوى ويقدم الراحة النفسية للمستمع/ القارئ، ويجنب اللبس في فهم المعنى، ويُجلب السماع اللغوي المنتبه. وأمام فيضان التقنيات المعاصرة والسّعة؛ لا بدّ من خوض تحدي الرقمنة في مجال استخدام برنامج التصحيح الإملائي، إضافة إلى المُدقّق الاحترافيّ الذي يمتلك مهارات أخرى مُتعلّقة بالتدقيق اللغوي؛ كمهارة التنسيق والتحرير والفهرسة.

ونعلم الحضور بأنّ المجلس الأعلى للغة العربية يعمل على تجسيد توصيات اليونسكو/ Unesco كما وردت؛ ففي سنة 2018م، عملنا على تجسيد توصيتها بخصوص (اللغة العربية والتقانات الجديدة) وهذه السنة 2019، تكون كلّ أنشطة المجلس تحت بند (اللغة العربية وتحدي الرقمنة). وهذا عامل من العوامل التي

تقوينا في بناء مدققات لغوية تعمل على التعرف على خصائص العربية، ومن ثم إيجاد منصات تصحيح الأخطاء، مع إمكانية تقديم البديل القريب أو النوعي.

3/8- التوجه نحو الكتابة العلمية: ويعني هذا إلزام المؤسسات العلمية مثل الجامعات والمؤسسات الثقافية، والجامعات، ومراكز البحوث اللسانية والتربوية على تغيير نمطية التلقين الأدبي لكل مجالات اللغة، وكان من الضروري التمييز بينها باستعمال نمطية العلوم؛ لما لها من خصائص لغة العلم: **دقة + إيجاز + وضوح** وهذا لا يتحقق إلا من خلال إكساب المتعلم مهارات لغوية جديدة من خلال إجراء التطبيقات اللغوية العملية في مختلف تعلماته، وإكسابه القدرة على معرفة الأخطاء اللغوية وتصويبها، وفق مفاهيم استعمال اللغة كما هي في حدودها، مع مراعاة خصوصياتها وجوازاتها، والتعرف على نظريات تحليل الأخطاء التي تعتمد في اللسانيات.

4/8- ضرورة التعرف على جوازات اللغة: وهذا من مقتضيات علوم اللغة فاللغة أياً كانت حمالة أوجه، وهناك جوازات أقرت على مستوى مؤسسات التشريع اللغوي، والأجدر بنا التعرف عليها قبل محاسبة المتعلم. ولكن لا يمكن أن يكون ذلك خارج قرارات المجامع اللغوية التي لها صفة التشريع اللغوي، وهي التي تلاحق التصحيح في مجال لغة الإعلام، والمؤهلة علمياً لمراقبة الإبداع المستجد الذي يحتاج إلى تبيين أو إلى تصحيح.

5/8- التفريق بين الجواز اللغوي ولغة الصحافة: هنا يحصل الإشكال، بأن الإعلام يزخر بأساليب بليغة مقبولة، وبعضها لا تمت بصلة إلى الأسلوب العلمي ولكن المستمع يحذوها دون معرفة الفروق اللغوية الدقيقة؛ وهنا تحصل أزمة سوء الفهم، وفوضى المصطلح، ويكون الإعلام يقضي على ما تقدمه المدرسة من أساليب نمطية لا بد منها. والإعلام بدوره يدافع عن مقولة اللغة وضع واستعمال فإذا تعارض الوضع مع الاستعمال؛ فالاستعمال أولى. وهنا تغيب الفائدة ويضيع دم اللغة بين الحق ولكن أريد به الباطل. ونحن نبارك فعل ما يقوم به رجال الصحافة

في ميدان الإبداع، وبإحذًا التّريق في المقامات بين خطاب الأدب، وخطاب العلم وخطاب المستوى الأدنى وخطاب المستوى الأعلى، أو بين خطاب الانقباض وخطاب الأس. وهنا تحلّ الكثير من القضايا التي يحملها الإعلام؛ باعتباره يُؤثّر في المستمع وفي المشاهد، ومصطلحاته تنال موقعها بالسرّيع.

— التّوصيات: كنتُ وددتُ أن تحرص الفرقة المنظّمة لهذا اليوم الدراسيّ على دعوة رجال التّربية خاصّة؛ لأنّ هذه العمليّة التي يجريها المخبر تحتاج إلى بناء قاعديّ يبدأ من المدرسة وتتكامل عمليات البناء في سلسلة تقديم اللغة في صورتها النّاصعة دون أخطاء. ولهذا أوصي:

1— تقديم توصيات اليوم الدّراسيّ إلى مسؤولي التّربية والتّعليم؛ لتجسيد ما يخصّهم من تدريس مادّة (علامات النّقط).

2— رفع التّوصيات إلى وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ، وإلى اللجان الوطنيّة لتجسيد ضرورة الاهتمام بمحاربة الأخطاء اللغويّة.

3— عقد أيام دراسيّة بخصوص قضايا المنهجية العامّة في كتابة الأبحاث ليكون للعربيّة موقع بين لغات العالم في المحتوى الرّقميّ، وكذلك لتتال جامعاتنا التّصنيف العالميّ الذي لا يكون دون القبول بالنّمطيّة العالميّة.

4— التّحسيس بقيمة اللغة التي لا تقبل التّسامح اللغويّ الذي يؤدّي إلى المسخ اللغويّ، وهذا لا يعني إخراجها من خصوصياتها.

5— تحسيس الطّلبة بخطورة النّفول والسّرقات العلميّة التي لا تعمل على بناء الحضارة دون احترام الأمانة العلميّة وقواعد أخلاق الباحث.

6— مواصلة عقد الأيام الدّراسيّة في ذات الموضوع حتى يُشبع الموضوع بحثاً بل يقع عن طريقه ضرورة التّماهي في تجميل لغتنا دون خطأ.

— الخاتمة: بهذا الفعل اللغويّ تكونون قد قدّمتم الخطّوات العلميّة التي يمكن أن تعمل على الحدّ من تلك الأخطاء. ولا يمكن للعربيّة أن تتال موقعها العلميّ إذا لم تخض ميدان العلوم، كما لا يمكن أن تدخل هذا الميدان دون سلاح الجمال اللغويّ المحبّب للغة، وعلميّة اللغة يكمن في تنوّع أساليبها، واستجابتها لخصوصيات النصوص. وإنّ ما تقومون به يحتاج إلى تثمين ومواصلة العمل في هذا الميدان ويكون على صعيدين:

— الصّعيد المحلّي والوطنيّ بتجسيد مُدونة أخطاء يكثر دورانها/ ورودها في العلوم، وتكون مَصدراً أمام الطّلاب لإدراكها، ومن ثمّ عدم الوقوع فيها في مختلف استعمالاتهم وكتاباتهم اللاحقة.

— الصّعيد العالميّ، ونعرف أنّ وحدة بحث تهتمّ بتبليغ العربيّة لغير أهلها، فما أحوجنا إلى نقل العربيّة نقلاً دقيقاً لهؤلاء الوافدين، أو لمن يبغى تعلّم العربيّة على قواعدها الصّحيحة وبخاصّة أنّ الكثير منهم يطمحون إلى حفظ القرآن الكريم، وهو أسمى كتاب سماويّ تشريعيّ يحتاج إلى الدقّة في اللغة العربيّة، فالدقّة واجبة وهي التي تعمل على الفهم والوضوح، وما يتمّ به الفهم فهو واجب. وبذلك ندرك الإعجاز اللغويّ للغة العربيّة في كلّ نصوصها، ولا غرو أنّ ذلك من مُستلزمات تبليغ العربيّة تبليغاً موفياً للغرض الذي أنعمه الله على البشر؛ وهي لغة التّواصل بكلّ ما تحمله من خصوصيات، وبدورها تحتاج إلى دُرية ودراية وتعلّم وتعلّم. وإنّه من مستلزمات الأمور أن أقول:

إنّ العربيّة لها مقامات ومآثر، ويمكن أن نفخر بعُلُوّ كعبها، وسُمُو شأنها، ولكن يتطلّب منا أن ننظر في قضاياها المعاصرة ذات المضايقات اللغويّة أو التقنيّة، وأن نتدارس فيما بيننا شؤونها وأحوالها، وإنّ الآمال لمعقودة عليكم أنتم أهل العربيّة وحُماتها وحرّاسها، أن تتدارسوا شؤونها وأن تضعوا أمام الأجيال برامج ومنهجيات دقيقة متقّناً عليها، ومشاريع عمليّة؛ تُيسرُ سُبُل استعمالها وتوظيفها والتحدّث بها، وتجعلوها لغة علميّة كما هي في عصورها الزاهرة وهذا ليس من

المستحيل إذا صدقت النيات وشدت العزائم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أشدّ على أيديكم، وأناشدكم أن تعملوا على خدمة هذه اللغة بالتقانات الجديدة، وبالمحتوى الرقمي وأن تفتحوا أبوابها على لغات الآخرين؛ لنستفيد من الأساليب العلمية التي خدموا بها لغاتهم. إن الكلام طويل وكبير، وأقفُ عند هذا الحدّ، وأختم بقوله تعالى

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیَ اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوْكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُمْ

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة 105.

المفردات القانونية:

مصطلحات أصلية وأخرى مقترضة^٧

أصحاب المقامات، المستشارون والمستشارات، أهل الاختصاص والبيانات، رجال الحقوق والمرافعات، الطلبة والطالبات، الإعلاميون والإعلاميات، كل باسمه وبجميل وسمه ومؤسسته أنقل لكم تحايا المجلس الأعلى للغة العربية، وأقول لكل الحضور: أهلاً بكم جميعاً فقد نزلتم بيننا إخواناً. ولقد سررنا بليقاكم، ونسعد بالاستماع إليكم. وإني أرى هذا اليوم جميلاً بوجوه جاءت بيوضاً، ويحصل الجمع بين المحاسن فنحن أمام المختصين مُستفيدين، وأمام من هم مثلنا مُذاكرين، ومع الطلبة مُفידين. وهلت أنواركم علينا جميعاً، والسلام عليكم أبصعين وأكتعين، أسلام ربّي فلاون. وبعد

— **الدباجة: نبش في الذاكرة:** أستهل هذه الكلمة بعبارة وسمتها (نبش في الذاكرة) وتعود بي الذكرى إلى تلك اللحظات المؤثرة التي دخل فيها الباحث الدكتور: علي فيلالي مكتب معالي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وهو يرفع في يده قصاصات تحمل الهموم أراد أن يشركنا في الحوار المفضي إلى حمل أمانة يريد البوح بأسرارها ولا يعدم أن يكون هذا العمل شريك الاثنين أو أكثر ليحصل الحل، وكأني به يحمل مرارة الشكوى، ويلمّح في الوقت نفسه شرارة الفحوى وجاعني في التو بيت الشاعر:

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسأليك أو يتوجّع!
والعبرة من ذلك اللقاء أنّ الهمّ إذا علق برقاب الجماعة، سيكون خفيفاً. ومن يومها قصدنا حمل النّقل الذي أنيط به الباحث فرداً، وعبر تلك الأيام قطعنا مراحل محقّقة أتذكّر فيها الهمّ الذي يتفّسه الباحث باستمرار، وقد هاله فوضى المصطلح القانوني

^٧- أقيمت الكلمة في افتتاح اليوم الدراسي حول (المفردات القانونية: مصطلحات أصلية وأخرى مقترضة) كلية الحقوق، جامعة الجزائر 1. بتاريخ 23 فبراير 2019م.

وتعدّ المصطلحات الإدارية للمعنى الواحد ممّا يؤدي إلى عدم وقوع المعنى على المبني، وما يسبّبه من إخراج للمتخصصين الذين يلعبون على وتر فتح ترجمة المصطلح القانوني على عواهنه، والاجتهاد في وضع المصطلح دون تحرّز، إضافة إلى تحرّجه الكبير من تلك المصطلحات الشرعية ذات الدلالة الثبوتية التي تحتاج إلى الضبط، وما لها من خصوصية في علوم الشرع الإسلامي لا توجد إلا في مصطلحات اللغات الإسلامية، رغم تعارض بعضها أحياناً، ولكن العدة في مقارنتها بمدلول اللغات الأجنبية التي ليس فيها تلك المداليل الإسلامية. هي لحظات تأثرت فيها شخصياً بحمل تلك الأمانة من رجل يهتم بالشأن العام، فبارك المجلس الإسلامي مسعاه، وعضد مجلس اللغة العربية فحواه. بالفعل حملنا الأمانة مشتركة وفيها حصلت أشياء فارقة وجُدت أفكاراً متطورةً وفي لحظات التحوّل انقلبت الاختيارات إلى أولويات، وأصبح السّالب موجباً، عندما رأيت اللجنة أنّ المعجم المأمول يتأخّر قليلاً فقد انقلبت الأوضاع إلى الصّواب بالحكمة، وعين الحقيقة في التّحرّز والتّحقيق، وبيت القصيد في التّدقيق. وعبر اجتماعات وملقّي وطني وبطرائق التّواصل البيني، وانضمام طلبة الدكتوراه للمشروع، واعتماد تقنيات التخزين بنظام Excel وعبر بوابة المداخل المعجمية بناءً على جذورها، وما يحلقها من زوائد، كان يجب أن تكون في المعجم الموحد للمصطلحات القانونية. رغم أنّ تصوّرنا أن يكون هذا المعجم في الشبكة وفي موقع المجلسين وفي صورته الورقية مع نهاية سنة 2018م، وأن يُبنى على شاكلة الصّناعة المعجمية العلمية الرّاقية التي تقوم بها الفرق العلمية في مختلف الجامعات، وربما يكون أفضل من تلك المصطلحات الموحّدة التي تصدرها بعض المؤسّسات العربية وعبر نمطية عالمية راهنَ فريقُ كلية الحقوق بجامعة الجزائر 1 على اقتراح حلّ مشكلة تعدّد المصطلح القانوني الذي يسبّب دلالات مختلفة عبر تعبير في المبني وهو الذي يؤثّر في المعنى. لكنّ المسألة تأجّلت قليلاً من باب ليطمئن قلبي، وليكون العمل مضبوطاً ويخضع للمراجعات الدقيقة؛ لتحصل الجودة المتبوعة بالنوعية. بالفعل، كان العمل يقوم

به فريق متخصص تحت إمرة الأستاذ، وقد وضعت الفرقة منهجية وفق مسطرة الجمع بين المعالم اللغوية الكبرى التالية:

1- شذّب ما هو من المرادف اللفظي؟

2- إعطاء الدلالة المتخصصة للمصطلح في علمه وفي مجاله، بمراعاة السياق والمقام والحال ومقتضى الحال.

3- بناؤه على صناعة معجمية حدّتها المعايير العالمية.

4- توسيع آفاق المصطلح القانوني إلى المصطلحات ذات العلاقة.

ووفق هذه المسطرة؛ تنامت الأفكار القانونية التي جعلت صدور المعجم القانوني الموحد لهذا الفريق يتأخر قليلاً من باب جبر خواطر المختصين في أن يقدموا عملاً عالياً؛ للإفتاء في المسألة القانونية فتوى لا خلاف فيها، وهي وقفة يمكن أن نعدّها مهلة تُؤدّد لكن ليست سلخانية، فنأمل أن هذه المهلة سوف تتمخض عن عملية سهلة نوعيّة تكون نموذجاً للجامعات الجزائرية في إطار المحدّات العلمية المطلوبة من مثل:

أولاً: اعتماد معايير وضع المصطلح الموحد عبر نمطيّة معروفة بمراعاة خصوصيات اللغة العربية، من: وضع/ اشتقاق/ مجاز/ تعريب/ ترجمة/ نحت. مع مراعاة جوانب السهولة واليسر والخفة، وما تقتضيه قواعد اللغة وذوقها البلاغيّ. ثانياً: اعتماد الصيغة المشتركة للمصطلح، وفق الاستعمال الجاري على الأصح. ثالثاً: مراعاة اجتهاد الواضعين القبليين؛ تيسيراً لعملية استكمال فعل السلف، إلا في ما اقتضته ضرورة التغيير.

رابعاً: اعتماد البديل النوعي؛ شريطة استيفاء شروط الوظيفة، وأداء المعنى وخضوعه للإجماع.

خامساً: اتّخاذ منهج الصناعة المنهجية، وهي البديل المناسب لنمطيّة يتدخل فيها الذكاء الصناعي في حالة مراعاة الاشتقاقات في ذات الكلمة.

إخواني، إننا أمام عنوان هذا اللقاء الموسوم (المفردات القانونية: مصطلحات أصلية أو أخرى مقترضة؟) عنوان وسؤال إشكالية هذا اللقاء بما يحمل من شقين من الإجابة:

شقّ أوليّ هو البحث في أصالة المفردات القانونيّة؛ وهذا كلام كبير وطويل، ونخلص منه بأنّ الأصالة ثابتة، ولكن هناك ما هو من المتغيّر، فكيف تمّ ذلك، ولماذا التغيّر أو التغيّر؟ وما هي المستجدات أو رهن الحال والمقام والمرسل والمستقبل للمصطلحات التي تُوظّف في لغة الحقّ والقانون. وهكذا الأصالة في المصطلح القانونيّ كانت مرافقة لمعاني اللغة، ووفق المصطلح الأوّل وبخاصّة في علوم الشريعة، ولكن بفعل الاحتكاك والترجمة حصلت متغيّرات. وشقّ ثانٍ مُصطلحات مُقترضة؛ بمعنى وقع اقتراضها من لغة ثانية لداعٍ من الدواعي، فهل هذا من المحمّدة أو المدّمة للغة؟ هي من المسائل التي يُعالجها المُختصّون في هذا اليوم، ولكنّي أرى بأنّ مسألة الاقتراض طبيعيّة في كلّ اللغات فلا توجد لغة لها اكتفاء تامّ بذاتها ولذاتها، وربّما يدخل في باب التّراء اللغويّ، وتقبله التّرجمة. ومن طبيعة بعض الكلمات المُهاجرة أن تجد أعشاشها في لغة من اللغات وهي ليست منها، وكذا الحال بالخصوصيات اللغويّة في كلّ لغة. ومهما يكن الأمر، فإنّ الاقتراض اللغويّ كائن حيثما يكون الجديد، وحيث يكون السّبق الوضعيّ، والانجذاب اللغويّ، لكن شرط ألا يُقلع اللغة من أصولها، فهناك نسبة مرغوب فيها؛ شرط ألا تُخلّ بقواعد اللغة المقترَض إليها. فاللغة أيّاً كانت تكره الدّخيل ويعدّ الاقتراض من صنف الدّخيل، ولكن هناك ما نصّ عليه اللغويّون من ضوابط يمكن أن يصبح المقترَض من القريب للأصيل، وبفعل الاستعمال والزمان يصبح أصيلاً كما هو الحال في حكم الخطأ الشائع يصبح صواباً، وهناك من يشرّع له. ولكن كلّ هذا يتمّ تحت طائلة ضوابط حدّدها فقهاء اللغة، وهي:

— قبول السّماح اللغويّ؛

— قبول الاستعمال بذوق غير ممجوج؛

— كون البديل للخطأ، أو للمصطلح لا يحمل اللبس؛

— جريانه على عرف طبيعيّ قبله المستعمل وأصبح من جسم ذات اللغة؛

— قبوله من المؤسّسات الواضحة للمصطلحات؛

— تأديته للفظ بصيغة غير تنافريّة: نحواً ودلالة ومعنى.

ومن وراء ذلك، سيكون المقترض أو ما هو في حكمه من طبيعة اللغة، ومن البدائل المقبولة عبر الجمع بين بضعة مسائل فقهية جامعة، وهي ضربة لازب لا بدّ منها، حيث يقبل من الفئات الثلاث: المختصّ في علوم القانون + المختصّ في علوم الشريعة + المختصّ في فقه اللغة العربيّة وذلك ما سيؤلّد ما هو من المصطلح الجديد المراعي لكلّ الخصوصيات، لما استجدّ من الجديد وإلاّ سنحكم على لغتنا بالموت والجفاء، ونكون نحن رفضنا حقّ التّجديد، ولا أريد أن أدخل هذا الباب لما للبريئة من مرونة وسعة واشتقاق منذ قرون التّعبد، فنحكم عليها بنمطيّة العقر في وضع المصطلح، ولهذا باركنا هذا العمل الذي نأمل أن يُحقّق المُستزيد من التوحيد والإبداع في الجديد.

إخواني من خالكم، نروم أن تتجسّد نوايا هذه المؤسسات الثلاث التي ترفد هذا المشروع: المجلس الإسلامي الأعلى + المجلس الأعلى للغة العربيّة + جامعة الجزائر 1. وهي شراكة علمية مثمرة أراها المجلسان أن تعود الكلمة للمختصّين في مسألة صناعة المصطلحات في أيّ ميدان، وبدأها مع مصطلحات القانون ونروم أن نتواصل إلى ميادين أخرى؛ عبر فرق علمية مُنتجة للفكر، وحاملة للمشاريع التي تعمل على حلّ القضايا العالقة، وهذا هو دور الأستاذ الجامعيّ الذي يصنع مُسيري المستقبل الذين يتحكّمون في اختصاصاتهم، وكفانا فرقة في المنهجية، وفي فوضى استعمال/ وضع المصطلح، وفي سوء العلاقة العلمية بين المعنى والمبني، فهل هذه من المضايقات التي يصعب التعلّب عليها؟ بل هي من بدهيات الأمور، كانت وستكون ولكنها ليست عقدة لا تُفكّ، بل تُعالج كلّ المسائل بأريحية علمية عندما تكون العزيمة وهي التي تفلّ الحديد إلى جانب صدق النوايا وهذه متوفرة مع إرادة علمية من منتجي الأفكار. وإنّي أطمح أننا سوف ننتج عملاً نمازياً يكون مرجعيةً ونموذجاً يُحتذى، فأنعم بكم أيتها اللجنة الموقرة! وبوركت خطواتكم، وما هي إلاّ البداية، ولكلّ بداية عشرات ولكنّ اللبيب الفذلكي هو الذي يجمع تلك العثرات، ويضمّها إلى بعضها ويجعل منها

سَلْمًا يرتقى بها في الملمات وعلينا أن نواصل ما بدأنا؛ لأنَّ الطَّرِيقَ صنَعته أقدامُ اللجنة.

— الخاتمة: إنَّ عملنا هذا يرتسم في التنظيم العلميِّ لترسيخ قواعد وضع المصطلحات، وهذا يدخل في باب بقاء قوام العربية مشوقاً حتى وإن اختلطت المصطلحات بغيرها، ولنحقق قوَّة التفكير الجزائريِّ في سياق تحويل القدرات الفرديَّة إلى قدرة جماعيَّة أكثر تأثيراً وفعاليَّة، وإشراك الطَّلاب في نظام العمل الجماعيِّ، في نظام حياة ومواقف يوميَّة في الجامعة. وإنَّ الهدف واضح في هذا العمل، ونروم أن ينلمس كلَّ الصَّعوبات التي تزيد من قدرتنا الوطنيَّة على التفاعل معها بإيجابية، وهذا هو السَّبيل الذي يجعلنا نسهم في صناعة قرارات المجامع اللغويَّة والمؤسَّسات المنتجة للمصطلحات؛ دون أن نصل إلى حدِّ الأنايَّة والتَّمحور حول الذات وفي حدود البديل النَّوعيِّ والمنافسة الشريفة، وتكون النتيجة ﴿خَتَمُهُ، مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ المطفون 26.

إخواني، باسم المجلس الأعلى للغة العربية نشدَّ على أيدينا جميعاً لصناعة الأفضل والعمل الجماعيِّ الجيِّد يأتي من الفرق التي تُوطِّرها المؤسَّسات وهذا يدخل في مهامنا جميعها ونروم التَّواصل والاستمراريَّة في مثل هذه الأعمال لتحقيق أملِ أسلافنا الذين مهَّدوا لنا الطَّرِيقَ ألا نكون خبيرَ خبيرٍ سلفٍ؟ بلى ذلك مبتغانا، بل هو التَّحديِّ الذي نرفعه بأن يكون عملنا في المعجم الموحد للمصطلحات القانونيَّة يُشرِّف اللجنة العلميَّة المعدَّة للمعجم، وينزل المؤسَّسات المشرفة عليه المقام العلي ويُعلي من قامة الجزائر الحبيبة، ابشروا وتفاعلوا خيراً تجدوه. وأختم بقوله تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِيْرِ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وِرْسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرْدُونٌ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنقِضْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة 105.

اللغات الأم والتنمية البشرية

— **الديباجة:** يأتي اختيار هذا العنوان بهذه المناسبة العالمية، وهي اليوم العالمي للغات الأم، وإذ نشهد الأمم المتحدة في جمعيتها العامة لهذه السنة قد اختارت أن تكون سنة 2019 دولية للغات الأصلية؛ وهذه خطوة جريئة لرفع مستوى الوعي العالمي بالمخاطر التي تُهدد لغات الشعوب الأصلية. وأن المجلس الأعلى للغة العربية يحتفي بهذه المناسبة تحت شعار (اللغات الوطنية وتحدي الرقمنة) بميسم اليونسكو، وبعنوان هذا اللقاء (الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية) وبمعية الهيئة الوطنية لرعاية الطفولة، التابعة لدولة الوزير الأول. والسيدة رئيسة المفوضية مشكورة على قبول الشراكة؛ التي نروم أن نتوطد أكثر في لاحق من المشاريع.

السيدة الرئيسة؛ سعاد بما تقدمينه من رعاية مثلى؛ لطفولتنا الصغرى والكبرى، وما تعالجينه من مضايقات تجاه هذه الطفولة بالرقم الوطني 1111، وما تتدخلين به من دفع المظالم، ورد الاعتبار لذوي الحاجات، ولأصحاب العاهات. واللغات الأم مطلب نريد الوصول بها إلى حسن استعمالها لدى كل الغايات، وهكذا تكتمل أعمالنا في الملمات. فأنعم بك يا سيّدة المقامات، فزيدنا شراكة في كل المناسبات.

إنّ غرضنا من الاحتفاء العلمي يتعلّق بالإسهام في تيسير الوصول إلى لغات الشعوب الأصلية والترويج لها، والعمل على تحقيق تحسّن في حياة هذه الشعوب من خلال تعزيز أبناء هذه اللغات على التواصل بلغاتهم الأصلية. وأهميّة هذا الفعل العالمي تكمن في توفير منبر وطني لإقامة حوار بناء يتناول فيه المختصّون نماذج

♥ — أقيمت الكلمة بمناسبة اليوم العالمي للغة الأم. المكتبة الوطنية بالحامة، في 24 فبراير 2019م.

لصون المعارف باللغات الأم، وإتاحتها أمام الباحثين، وشعار فعل هذه السنة (أهمية لغات الشعوب الأصلية من أجل بلوغ التنمية المستدامة وبناء المصالحة) أيها الحضور، تنال العربية مساحاتٍ وطنيةً وعربيةً وعالميةً، ويعلو مقامها في الاستعمال، دون أن نخفل المازيغية التي أصبح لها رمزية اللغة الرسمية، وهذا فعل نبيل أعطى لها صفة الحياة اليومية في الاستعمال، دون أن نهمل تلك الدعوات الحقوقية التي تدعو إلى ضرورة الاهتمام باللغات الأم وهي من المطالب الاجتماعية التي تحفل بها الأمم بتعزيز لغاتها الوطنية من خلال الجمع بين الشعارات العالمية والوطنية، فيروم المجلس الأعلى للغة العربية والهيئة الوطنية لرعاية الطفولة البحث عن هدفين: الهدف الأول هو البحث عن صفة علمية تعمل على تحقيق المصالحة اللغوية في تكامل اللغات الوطنية، وليس من باب الدعوة إلى الحقوق اللغوية، بل هي مضمونة ومصونة بحكم القانون ولكن بدعوة المختصين إلى حسن إتيان استعمال اللغتين الوطنيتين في سن مبكرة: استماعاً وتحدثاً وقراءة وكتابة، وتحقيق مستوى عالٍ من التعلم الذاتي المؤدى إلى حبهم للعلم والبحث والإبداع فيهما وبهما، وكذا حسن استعمالها لدى ذوي العاهات ومن يعاني مرض التوحّد؛ نرفع شعار: الجزائر تُعلّم لغاتها الأم/ أبناء الجزائر يقرؤون/ الجزائر تحترم الحقوق اللغوية/ الجزائر لا تفرّق بين أبنائها. وعن الهدف الثاني هو البحث في علاج بعض العاهات اللغوية بسبب انتشار وسائل الترفيه الإلكترونية والإدمان على مشاهدة التلفاز أو اللويحة، وانشغال الوالدين بتوفير مستوى اجتماعي جيّد، دون الاهتمام بمرافقة الأولاد لغوياً، وقد حالت الظروف أن لا تحصل اللقاءات الأسرية، وهناك أسباب طردية ذات العلاقة بالإعاقة السمعية والذاتوية (التوحّد) والافتقار للبيئة المنبّهة. ويحتاج هذا إلى تشخيص هذا التأخر في برامج لغوية علاجية. وهنا تقع المسؤولية على المختصين في التخاطب واستغلال البيئة المنزلية الثرية بالعناصر الطبيعية؛ فهي أفضل من الصور، مع تخصيص وقت لأطول فترات للتحدّث مع الطّفّل حول مختلف الموضوعات. ومن هنا كان

علينا الجمع بين الهدفين بالعمل على تطوير أساليب استخدام لغات الأم في التعلّم وتوظيف أفضل الوسائل التربويّة والإيضاحيّة الحديثة في التعلّم والتأكيد على دور المنزل في ذلك الأمر. ومن العدالة اللغويّة أن يقع التعلّم باللّغة الأمّ فهو أكثر فاعليّة وأبعد أثراً حيث ييسر سرعة الفهم دون عائق لغويّ؛ فتزداد الحصيلة الدراسيّة، ويرتفع المستوى العلميّ، وينتشر التعلّم أقيماً. وسوف تضع العدالة اللغويّة عندما يقع التركيز على تعليم اللغات الأجنبيّة على أنّها لغات أساس، وعند ذلك يكون التعلّم نخبويّاً، ويبقى لدى فئة عاليّة في المستوى العاموديّ.

— المقدمة: في العادة بأنّ اللغات الوطنيّة المشتركة هي التي تعمل على التّميّة البشريّة؛ حيث إنّ القمّة على اتّصال بالقاعدة، والعكس يصحّ، من خلال لغة مشتركة، وتسمى لغة الأمّ/ لغة الأمّة. ومفهوم كلمة الأمّ/ الأمّة يعني بها ذلك الكيان الأوسع والشّامل في الانتماء الحضاريّ والتّقافيّ المشترك. وهكذا فالعربيّة والمازبيغيّة مجال مشترك ومثال يُحتذى؛ فينطبق عليهما مصطلح (اللّغة الأمّ + لغة أمّ) فلهما التّفضيل لما لهما من قاسم مشترك، ولا بدّ من تدبير عقلائيّ يُراعي التّعّدّد بحسب المقام والذي يحافظ على التماسك والتّعايش. ومع ذلك فنجد أحياناً بعض الفئات تطرح أسئلة الهويّة والخصوصيات اللغويّة والتّقافيّة والحضاريّة والقوميّة والروحيّة، وهذا لا يبتعد عن المطالب الاجتماعيّة، ولا ينفى الحقوق اللغويّة، ولا يكون هذا إلّا في تلك اللغات التي تعلّم لأولادنا؛ فكيف يكون ملمحهم من خلال الحُمولة التي يتلقونها في التعلّم بصفة عامّة، وكيف يكون الطّفّل المستقبليّ المسؤول/ المدير/ العالم/ الموجه... بحمولة لغويّة ما؟ وما هي الغايات التي يستهدفها في التّميّة الوطنيّة؟ فهل للغة أثر في البناء الوطنيّ؟ وما أثر اللغات الأجنبيّة في التّميّة بصفة عامّة؟ تلكم هي أسئلة التّميّة المستديمة الشّاملة، فهل التّميّة المستديمة الشّاملة المتكاملة تأتي من اللغات المحليّة أو من اللغات الأجنبيّة؟ إنّ التّميّة الشّاملة تأتي بنفع عامّ لا شكّ في ذلك، وتفضي إلى تميّة القدرات الذهنيّة، والرّفيع من المستوى التّعليميّ والخبرة والتّقافة والوعيّ، بل إلى زرع التّقة

بين المسؤول والمسؤول عليه، بين الراعي والرعية، بين المسير والخدام، ليحصل المزج الكلي بين العقول التي تُفكر وتُخطّط، وبين السواعد التي تعمل وتبني. وهكذا، لا يمكن أن تحصل التنمية البشرية في غياب التواصل البيئي الذي لا يكون إلا بلغة/ لغات مشتركة، وهذا ما نلمسه بين المريض والطبيب، فغياب التواصل اللغوي يزيد من عقدة المرض، وإذا حصل التواصل البيئي يحصل نصف الشفاء. ولذا، فنروم أن تكون اللغة المشتركة ركيزة أساساً في التنمية الجمعية والتي تعتمد: الرأسمال البشري+ الرأسمال المعرفي+ توطين المعرفة¹. وتوطين المعرفة باللغة المشتركة عامل قوي لمزيد من الإنتاج.

وهكذا، فإن مؤشر اللغة الأم مؤشر إيجابي في تحقيق الأمن الثقافي والانسجام الاجتماعي والتضامن الوجداني، واستجابة لتوجه جميع الجزائريين الذين يتشبثون باللغة العربية؛ باعتبارها اللغة الجامعة والمزيغية لغة تراث القوى الفاعلة، فإنه لا مندوحة من الإقرار بما لهما من استقرار داخلي، ومن تنمية فاعلة، على غرار العربية التي لها مواقع عالمية؛ كما ورد في التقرير الأخير لموقع أنتولوج Ethnologue المتخصص في اللغات، الصادر في فبراير 2017، أن اللغة العربية تحتل المرتبة الرابعة باعتبار عدد المتحدثين بها لغة أمّا، بعد الصينية والإنجليزية والإسبانية، بينما تحتل الفرنسية المرتبة الرابع عشرة حسب هذا المؤشر². وقد نحا موقع موزالينغا Mozalingua هذا النحو، فعّدّ العربية واحدة من بين أهم سبع (7) لغات في العالم، تعتبر مفتاحاً لسوق العمل، متقدمة بهذا الاعتبار على اليابانية، واعتبرها ثالث لغات العالم من حيث عدد الناطقين، وقال إن اللغة العربية أصبحت ضرورية لفهم عالم اليوم³. كما تؤكد تقارير التنمية البشرية أن

¹ - عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية. بيروت: 2014 دار الكتب العلمية، ص 19-37.

² <https://www.ethnologue.com/ethnblog/gary-simons/welcome-20th-edition>

³ https://www.mozalingua.com/blog/2011/09/11/quelle_langue_apprendre-7-langues-etranangeres-les-plus-utiles/

من اللازم أولاً إيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية. ويُعرّف مجتمع المعرفة بأنه ذلك المجتمع الذي يتبادل المعلومات بسرعة وسهولة، ويتمكن من استيعابها ببسر، والإبداع فيها وتنميتها. ولا يتم ذلك بالسرعة المطلوبة والسهولة المرغوبة إلا عن طريق اللغة الوطنية المشتركة. فنحن نعلم أنّ تعلم اللغة الوطنية أيسر من تعلم اللغة الأجنبية؛ لأنّ تعلم الأولى يتم في بيئتها وثقافتها، أما تعلم الثانية فيتم في بيئة غريبة عنها، ويجري نطقها بأعضاء نطق تعودت على نطق غيرها، ويتمّ التعبير بها من فكر تطابق بنياته بنيات لغة غريبة عنها. ولهذا قيل: إنك إذا تعلمت العلوم بلغتك أخذتها، وإذا تعلمتها بلغة غيرك أخذتك.

وهكذا تساوي العربية لغة التنمية، والمازيغية تلحقها، ولكن في واقعنا المعاصر الذي تقوم الأمور على المصالح المرسلة من حقّ التاجر/ المعلم/ السائق/ السائح/ الإداري... أن يسأل عن لغة فيها منفعة؛ وهي أسئلة مشروعة، فأين هذه اللغة التي لها وزن في سوق التداول؟ وهذه الأمور من أسئلة واقع المنفعة ونحن نعيش هاجس الحضارة والتقدم والاستقرار، فيمكن أن يهجر الإنسان لغته ويعزف عن توريثها لأبنائه، فلا تشغله الهوية اللغوية/ المواطنة اللغوية بقدر ما يشغله واقع المال والمصلحة ومن هنا، لا يجب أن ننخدع بالتشبيث اللغوي الداعي إلى قبول اللهجات والتي تنتشر إلى محليات أو اللغات الأجنبية، وفي الأخير ينتصر من يُضرم النار بين اللغات الأخوات. ونعلم بأنّ سلاح اللغة ذو حدين: يمكن أن توظف من أجل لُحمة المجتمع، كما يمكن أن تستعمل لتمزيقه.

ولهذا، ينمو الرأسمال المعرفي بقدر نمو الثقافة الجامعة، والوعي الجمعي، ولا تحقّقه إلا اللغة/ اللغات الوطنية المشتركة القادرة على تعميم التعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع؛ لأنّ المعرفة لا تستورد كلها، بل يمكن استيراد بعضها، وما دام أنّه يستورد بعضها فإنّه عالية على الآخرين، أو في حكم غير الموجود. فالمعرفة تستنبت في بيئتها وفي عقول أبنائها بلغتهم المشتركة؛ لأنّ استيراد المعرفة مكلف جداً، ثم هي منطوية دائماً، فما هي

المعرفة التي تُستورد؟ وكذلك، فإنّ استيراد المعرفة يُمكن أن تحصل بصورةٍ سطحيّة، وما هو ليس متجذراً يكون سهل الاقتلاع والزوال، واستيراد المعرفة بلغاتها؛ بمعنى توسيع تلك اللّغة في وطنك على حساب اللغات الوطنيّة؛ ويعني ذلك تبعيّة لغويّة، كما يعني خلق نخبة وفئة تتقن اللغات الأجنبيّة. والطريق الأمثل هنا هو نقل المعرفة إلى اللّغة/ اللغات الوطنيّة المشتركة؛ بتكثيف حركة الترجمة؛ وفق برامج مخطّطة تواكب حركة الإنتاج المعرفي، وهضم المعرفة العلميّة بلغاتها الأصل ثمّ ترجمتها. وصدق بيرم التونسيّ الذي قال: "إذا علّمت شخصاً بلغته نقلت العلم إلى تلك اللّغة، أما إذا علّمته بلغة أخرى فلم تزد على أنّك نقلت ذلك الشخص إليها". وإنّه ليس هناك من وسيلة لتعميم المعرفة وتطوير سلوك المجتمع إلّا استعمال اللّغة/ اللغات الوطنيّة المشتركة، حيث التّميّة بعمومها لا تحصل إلّا بتماسك لغويّ اجتماعي، والمجتمع المنسجم لغوياً هو الأقوى، وغير المنسجم يصبح مُنحلاً، ويساعد على خلق جوٍّ من التّبعيّة، بل ومن الشّرخ الجمعيّ الذي يورّدي إلى ما لا تحمد عقباه، وهذا بسبب غياب الانسجام الفكريّ والثّقافيّ والسياسيّ بين المجتمع. وكلّما حدّث انسجامٌ وتناغمٌ بين النّاس ازداد تحقيق التّميّة والوحدة اللغويّة، وارتفعت نسبة الانسجام الجمعيّ. ولهذا فإنّ اختيار اللّغة الرّسميّة للوطن تُراعى فيه مجموعة من الشّروط التي لا تُحدث الخلل في المجتمع، ولا تُنزل اللغات الوطنيّة منزلةً واحدةً، فكلّ لغةٍ حمولةٌ وثقافةٌ وإرثٌ وتراثٌ وحضارةٌ، ولا يمكن التّسوية التّامة بين اللغات الوطنيّة فإذا قبلنا بهذا؛ فإننا نروّج لديماغوجيّة عمياء بعيدة عن الواقع.

– العير من العالم: عندما صدر تقرير التّميّة البشريّة لبرنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ سنة 1990 جاء بمفهوم التّميّة البشريّة، وهو مفهوم يختلف تماماً عن مفهوم النّموا الاقتصاديّ، في حين إنّ التّميّة البشريّة تهتمّ بغنى حياة المواطن بحيث أصبح الإنسان محور التّميّة، وهدفها ووسيلتها، فالإنسان أعلى ثروة في البلاد. وأصبحت التّميّة تُقاس بدليل التّميّة البشريّة. وكان أهمّ بند في التّميّة

البشرية التعليم باللغات الأم بالعمل على نشره بشكل إلزامي، وبجودة عالية باللغات الوطنية المشتركة، وعلى نفقة الدولة في جميع أنحاء البلاد وفي مختلف المناطق بحيث يتساوى جميع الأطفال، ذكوراً وإناثاً في المدن والأرياف في فرص الالتحاق بالمدارس. فالتعليم باللغات الأم هو أساس التنمية البشرية واكتساب المواطنين مهارات تقنية تُيسر لهم القيام بالعمل المثمر، والحصول على أجرٍ مُجزٍ يمكنهم من العيش بصورة تليق بالكرامة الإنسانية. كما أن تعلم اللغات الأجنبية ضرورة لازمة للتنمية البشرية، لأن هذه اللغات نوافذ على العالم، تُيسر الحوار الحضاري والتبادل الثقافي، وتساعدنا معرفتها على الترجمة من اللغات الأخرى وإليها، ما لم تكن لغات الهوية. علماً أن تعليم العلوم بلغة أجنبية يُعرقل استيعاب تلك العلوم، ويحول دون توطينها؛ فتظل اللغة الأجنبية منحصرة في نخبة محدودة. ولدينا في هذا المجال نماذج من تلك الدول التي أنزلت لغاتها الأم منزلة الرسمية دون غيرها من اللغات، ولغة جميع مراحل التعليم، ونظرت إلى التنمية الشاملة أنها تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة.

1- دولة فنلندا: كانت أفقر دولة في أوروبا في الخمسينيات من القرن الماضي ثم أصبحت الدولة الأولى في التنمية البشرية في آخر ذلك القرن.

2 - كوريا الجنوبية: كانت أفقر دولة في آسيا، وثالث أفقر دولة في العالم وأصبحت اليوم سابع أغنى دولة في العالم، وتحلّ الرتبة السابع عشرة (17) في سلم التنمية البشرية لسنة 2015 متقدّمة بذلك على دول أوروبية عريقة في الصناعة والاستعمار؛ مثل فرنسا التي تحلّ الرتبة الثانية والعشرين (22) وإيطاليا التي تحلّ الرتبة السابعة والعشرين (27).

3- النرويج: (رتبتها على سلم التنمية البشرية رقم واحد، وتستعمل اللغة النرويجية في كلّ مراحل التعليم، واللغات الأجنبية تُعلم في المرحلة الإعدادية وعلى الخيار.

4- إيران: كانت رتبته على سلم التنمية التاسعة والستين (69) وكانت من بين الدول المتخلفة عندما كانت تُعلّم باللغة الإنجليزية، ولكنها اعتمدت اللغة الفارسيّة لغتها الرسميّة بعد تلك السنّة وضعت نفسها على طريق التنمية البشريّة، مع العلم أنّ الناطقين بالفارسيّة لغة أم لا يشكّلون أكثر من 60 % والباقي يتكلمون الكثير من اللغات المحليّة وأهمّها الأذرية، والكردية، والعربيّة، والبلوشيّة والتركمانيّة...
5- تركيا: هي من الدول الناهضة الآن بلغتها التركيّة فقط، وحتى في السّياحة فيقصدونها سنويّاً أكثر من اثني عشر مليوناً (12) ولكن لا تستعمل إلاّ لغتها في السّياحة، وعلى الأجنبيّ أن يتعلّم التركيّة. وتحتلّ الآن الرتبة الثّانيّة والعشرين (22) في الاقتصاد العالميّ، وهي من الدول الكبرى في نطاق/ منظومة G21. والخلاصة من هذا:

- الكبار علماءً وصناعةً ورقياً، يستعملون لغاتهم الرسميّة الجامعة؛
- المتخلّفون يستعملون اللغات الأجنبيّة؛
- وصفة هذه الدول في أنّ معايير التنمية كلّ متكامل، تتحدّد في:
 - 1- الحياة المديدة والصّحيّة، وتقاس بمتوسّط العمر المتوقّع عند الولادة.
 - 2- المعرفة، وتقاس بمتوسّط سنوات الدّراسة، والعدد المتوقّع لسنوات الدّراسة.
 - 3- المستوى المعيشيّ اللائق بالكرامة الإنسانيّة، ويقاس بنصيب الفرد الفعليّ من الدخل القوميّ الإجماليّ.
- التنمية البشريّة لهذه الدول حصلت بفعل الاستثمار في التنمية البشريّة؛
- وجود النّظام التعليميّ الغريب، يؤدّي إلى تكوين أصناف من المواطنين بعقليات مختلفة وخفيايات متباينة، وثقافات متعدّدة، وولاءات غير منسجمة. وهذا سيؤدّي إلى انقسام مجتمعيّ يجعل من السّهل إثارة الاضطرابات الاجتماعيّة أو القلاقل الشّعبيّة؛
- وجود لغة وطنيّة مشتركة تُساعد على تبادل المعلومات بسرعة، فإذا كنّا نستخدم لغةً وطنيّةً مشتركةً في مصنع يجري تبادل المعلومات بسهولة، أما إذا كنا

نستخدم عدة لغات في المصنع الواحد فسيؤدّي ذلك إلى تباطؤ تبادل المعلومات وبطء الإنتاج، وربما رداً عنه. ويشبه الاقتصاديون اللغة المشتركة بالعملة التي تُيسّر تبادل السلع في المجتمع إذا كانت عملة واحدة، أما إذا وجدت عدة عملات في الوقت نفسه؛ فإنّ عملية التبادل تكون أصعب وأبطأ؛

- من الضروريّ وجود لغة/ لغات وطنية مشتركة تُيسّر تكوين مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية، ولهذا ينبغي تعميم هذه اللغة في التعليم والإعلام والحياة العامّة إذا أردنا تحقيق التنمية البشرية فاللغة الوطنية تاج وأساس ولازمة وليست ترفاً أو وسيلة فقط.

- وجود لغة مشتركة تعمل على الحدّ من هجرة الأمخاخ، لأنّ المواطن لا يشعر في وطنه بالاعتراب الثقافي؛ فينسجم مع المجتمع، ويبقى في مجتمعه لأنّه بنفس تفكيره.

- **الخاتمة:** إنّ تعاملنا بصورة سلبية مع لغاتنا الأم سيؤدّي إلى إعاقة التنمية البشرية المنشودة وإنّ اللغات الوطنية المشتركة هي البيت المشترك، فلها مقامها ووظائفها التي تقوم بها، كان علينا صونها والعمل على حمايتها بكلّ ما أوتينا من جهد وقوانين، وأما اللغات الأجنبية نحتاجها عند الضرورة والمصلحة، ونلجأ إليها في ربط المجتمع بالعالم الخارجي لمواكبة التطور، ومعرفة الحاجات الملحة والإفادة منها فقط، شرط أن تتم إعادة إنتاج ما يُستفاد منها إلى اللغات الوطنية بإعادة التعبير عنها باللغات الوطنية. ونقول: بأنّ التنمية الشاملة تكون باللغات الوطنية فقط، ولم يثبت عن أمة في العالم ارتقت بغير لغاتها الوطنية.

ردّ الجميل للزميل ♥

بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت المقصود بكلّ حال، والمشار إليه بكلّ منال، ولا أملك في البداية إلاّ الحمد على ما أعطى، والشكر على ما أوفى، فمن عاش مات ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ. ونسأل الله أن يُلهمنا رشدنا، ويوفّقنا لاتباع أوامره واجتتاب نواهيه، وأن يجعل الموتَ خيرَ غائبٍ ننتظره، وأن يختمَ لنا بالخير أعماله. ونقول لكلّ الموتى: تلك سنة الله في الأرض فأنتم السّابقون ونحن اللاحقون، ﴿يَتَأْتِيهَا أَنْفُسُ الْمُظْمِئَةِ﴾ ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الفجر 27-30.

— تنويه: إن ردّ الأفضال لذويها أيقونة الكبار، وتراكم الحضارات بطُعم أوليها إكبار، وإن أحسنّ اللاحق، فإنّ الفضل للسّابق، هي وقفة عرفان أردتها وزارة الثقافة لتقديمها، لمن كان في هذا المكان مديرها، عرفاناً للذين كانوا هنا، وكانت لهم بصماتٌ من هنا. وويلٌ لأمة لا تتذكّر علماءها، وتتكرّر لمسيرتها، وتتسى الباحثين الذين أفادوها، فأنعمُ بالذي يحفظ الودّ! ويواصل المدّ، وأنتم في هذا الصّرح ازرعوا ثقافة ردّ الأفضال؛ ليكون لنا المنوال، تكم فكرة نريد زرعها في العاقبة، وتحقيقها في النّاشئة. فألف شكر يا معالي الوزير، على هذا الفعل الأثير.

ويا فاضلاً قد تبدّى كأنّاه الغصن قدداً

— محمد عيسى وموسى قبل أن أنقّيّه: عرفتُ أنه خريج معهد الحياة بالقرارة ثمّ جامعة بغداد، ثمّ أصبح نائب مدير للمكتبة الوطنيّة، فمديراً عامّاً، ونال شرف عضوية المؤسّسين في المجمع الجزائريّ للغة العربيّة+ والمجلس الأعلى للغة العربيّة+ مؤسّسة مفدي زكريا+ جمعيّة التراث بولاية غرداية. وقد اطّلت على مؤلفاته التّالية:

♥ أقيت الكلمة بمناسبة التّأبينية التي أقامتها وزارة الثقافة للمرحوم (محمد عيسى وموسى) المدير

السّابق للمكتبة الوطنيّة. في المكتبة الوطنيّة، الحامّة 2 مارس 2019.

- 1- ابن عبد ربه وشعره. ماجستير بجامعة الجزائر.
- 2- إيّاذة الجزائر، شبه تحقيق: ضبط+ إضافة كشافات الأسماء والأماكن ومقدّمة مشتركة مع الدكتور محمد بن سميّنة
- 3- مفدي زكريا في ذاكرة الصّحافة الوطنيّة؛ وهذا العمل من بواكير مشروعه حول ملفات ميزاب في الصّحافة الوطنيّة. وقد عرض فيه بعض المقالات التي تحدّثت عن مفدي زكريا بين سنتي 1985-1995. إصدار ذات المؤسّسة.
- 4- كتابات تعريفية في أعلام الجزائر في موسوعة أعلام العرب والمسلمين. الصّادرة عن الألكسو.

5- مخطوطات تنتظر النّشر، وهي في مؤسّسة مفدي زكريا.

أيّها الحضور، ولم أتجاوز هذا الحدّ، وأراها تكفي لأنّ أتحدّث عنه بهذا القول. أراه مقلّاً في أعماله، والأمر على ما ذكرت في منجزاته وإشرافه، وتحضرنى صناعة أولئك الذين يؤلّفون الرّجال، وينظرون في الأجيال، وهو من هذا النوع من الأساتيد الذين تركوا المرّيبين، وهم يخلّدونهم باليقين. ونرى محمد عيسى يحمل أمانة التّدرّيس في جامعة الجزائر بغاية التّرسيس فتخلّق حوله الطّلاب، وعن طريقهم ما يزال مطالباً. فأعماله -رغم قلّتها- جديرة بالتّويه، لما لها من حسن التّفويه، وما تأخذ به الصّحافة، وبها تسترشد في علو الهامّة. وأشهد أنّي أفدّت من أعماله، واهتديتُ علمياً بمصباحه، ووجدته جامعاً يميناً إلى يسراه، واصلاً سيره بسراه وأحياناً أراه يرشق أبواب العلم بفكره، ويرفع الخطأ من مقامه يصحّح الخطأ بالمراجعة، ولكنّه يكتب بالمنافحة، وكأنّي به أراد أن يبلغ أبواب السّماء، على قوس الظلّماء، وفي كلّ ذلك يتعاطى نجوم الإقدام، وينالُ تضلّع الأفهام، وكأنّي به يسعى إلى شرط الحداد، وخرط القِتاد.

- محمد عيسى وموسى الزّميل: إنّي لا أرمي عليه الورود، فهو في دار الخلود ولكن إنّ منافبه لا تُتكر، وهي أكثر من أن تُحصّر، هو مكتبي بامتياز يدقّق في المنشورات دون مهماز. عرفته في المجلس على العيان، ولمست فيه البيان، ودقّة

التَّحَكَّم في لغة العُربان. وما يمكن وصفه لا يحيط به اللسان. ولكنّي أقول ما شاهدته في شخصه الولهان، رابط الجأش بالبرهان وهو دقيق اللسان عريض الثُّمان. إنّه شديد النَّفس، لطيف الخُمس، كان حديدَ السَّمع، غليظَ السَّبَّع، من أهل البيوتات والكتّاب، ومن أصحاب الجِدَّة التَّوَّاب، يحمل حميَّة أهل غرداية وينافح منافحة أهل العرّابة، يتعاطى بديع الأدب، ويكتب بلغة العرب، ونراه على قدر ثقافته، وحسب دفاعه، يُشهر قلمه للنزال ويُبهر دربَ من طلبه بالمنال. محمد عيسى وموسى العالم الذي عرفته قبل أن أُنقِيه، ووجدته متواضعاً سكوناً خلقاً أديباً مُتقناً للعربيَّة في أعلى تجلّياتها، حافظاً للمتون، تلك حكمة يهبها الله لمن يشاء ومن أوتي الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً.

— كلمة المجلس الأعلى للغة العربيَّة: هي كلمة نقلناها تعزيّة للأسرة، وقدمناها ذات سبت من أيام الله 27 جمادى الأولى 1440 هـ، الموافق 2 فبراير 2019م وقلنا: إليكم كلمة المجلس الأعلى للغة العربيَّة، وهي ليست مرتيَّة المجلس بامعان ولا كلمات وعظيَّة بإتقان، بل هي نَفحات مُؤثِّرة بامتنان، وتعزيّة نقدِّمها بالبرهان لأنّ الكبار يحتاجون ذكرهم في كلِّ أوان ويستحقّون التمجيد الرّبان. وأقف هنا لأقول:

رَحَل الذين نُحبُّهم؛ فمحمد عيسى وموسى منهم. يا محمد حميد اسمك من الإسلام وجمعت بين مُسمّى الأديان بالمهام، وإلى عيسى عليه السّلام، وموسى كليم الرّحمان فقد تسلسلت الأسماء دون نقصان. نحن لا نُعزيك يا زميلي، فقد جاء عليك الأمر بالتّوالي، حلّ عليك الذي حلّ على أُبيد، وهذا مُدون في صمد. وقلنا: قضى الله أمراً كان مكتوباً، ولا من رادٍ لشيء كان مطلوباً ورعى الله تلك الأيام التي جمعتنا في كنف المجلس، وفيها التأم شملُ الباحثين بكلِّ أنس واستمتعتُ بحديثكم الجذّاب، ورأيكم المُناب. وعهدناكم في المجلس الأعلى عضواً منافحاً وأستاذاً مُمزحاً، فكنتُم الباحث المُدقّق، والأستاذ المُتمقّق، وفي كلِّ مرّة نقولون: عهدي ما قاله الشيوخ وأنا لست من الشُّيوخ، فأنا من الأتباع، وحسن الذي كان من الأبصاع.

هي كلمة المجلس تأتِيكم؛ بعدما جاعنا الخبر الصّدقان، أنكم غادرتونا بلا استئذان فجزعنا في المصيبة مع كلِّ الإخوان. يا محمد رُحماك، ابق معنا عالماً نرعانا، ومعلماً